

حوليات كلية الآداب



تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

أدب النصفين الشعر العربي القديم

د. مرزوق بن صنيّتان بن تنباك
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

١٤١٢ - ١٤١٣ هـ
١٩٩٢ - ١٩٩٣ م

الجزئية الثالثة عشر
الرسالة السادسة والثمانون



رئيس التحرير

أ.م.د. د. فتوح عبد المحسن الخترش
أ.د. محمود اسماعيل
أ.د. عبد الله الصالح العشيمين
أ.م.د. د. فاطمة العبد الرزاق
د. منيرة السقار

نمن الرسالة:

الكويت ٥٠٠ فلس - البحرين ٧٥٠ فلس - قطر ٨ ريال - الإمارات ٨ دراهم -
السعودية ٨ ريال - عمان ريال واحد - اليمن الجنوبي ٥٠٠ فلس - اليمن
الشمالي ٥ ريال - العراق ٥٠٠ فلس (نصف دينار) - مصر جنية واحد - لبنان
١٠ ليرات - الأردن ٥٠٠ فلس - سوريا ١٠ ليرات - السودان ٥٠٠ مليم - ليبيا
٨٠ قرشا - الجزائر ١٠ دنانير - تونس ٥٠٠ مليم - المغرب ٨ دراهم

الاشتراك السنوي لعدد (٨) رسائل			
المجلد	الاشتراك		
الكويت	أفراد مؤسسات	٤ر - د.ك. ١٦ر - د.ك.	٦ر - د.ك. ١٨ر - د.ك.
الدول العربية	أفراد مؤسسات	٥ر - د.ك. ١٨ر - د.ك.	٧ر - د.ك. ٢٠ر - د.ك.
الدول الأجنبية	أفراد مؤسسات	٣٢ر - دولاراً ٦٤ر - دولاراً	٤٠ر - دولاراً ٧٠ر - دولاراً

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشرة أو أية استفسارات أخرى بشأن
الحوليات توجه إلى رئيس هيئة تحرير الحوليات - ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية -

الكويت: 72454 ت: ٤٨١٠٣١٩. فاكس ٤٨١٠٣١٩

حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

دوره علمية محكمة تتضمن مجموعة
من الرسائل وتعتني بنشر الموضوعات التي
تدخل في مجالات اهتمام الأقسام
العلمية لكلية الآداب

الرسالة السادسة والثمانون

الجزئية الثالثة عشر

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

قواعد النشر في

حوليات كلية الآداب

- ١ - حوليات كلية الآداب دورية علمية محكمة تنشر مجموعة من الرسائل في الموضوعات التي تدخل في مجالات اختصاص الأقسام العلمية بكلية الآداب.
- ٢ - تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصلية باللغتين العربية والإنجليزية ويراعى ألا يتجاوز عدد صفحات أي بحث ١٣٠ صفحة ولا يقل عن ٤٠ صفحة.
- ٣ - تقدم البحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة على مسافتين من ثلاث نسخ على ورق مقاس ٢١ × ٢٩ سم (A 4) وعلى وجه واحد فقط وترقم جميع الصفحات بما في ذلك الجداول والصور التوضيحية، وينبغي مراعاة التصحيح الدقيق للطباعة على الآلة الكاتبة في جميع النسخ.
- ٤ - يرفق الباحث ملخصاً باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ٢٠٠ (مائتي) كلمة تصدر البحث.
- ٥ - ترسم الخرائط والأشكال والرسوم بالحبر الصيني على ورق «شفاف» حتى تكون صالحة للطباعة. أما الصور الفوتوغرافية فيراعى أن تكون مطبوعة على ورق لماع، وإذا كانت ملونة فلا بد من تقديم الشريحة الأصلية.
- ٦ - يراعى وضع خطوط متعرجة تحت العناوين الجانبية، وكذلك الألفاظ والعبارات التي يراد طبعها بينظ ثقیل.
- ٧ - تكتب في قائمة المصادر كل التفاصيل المتعلقة بكل مصنف من حيث اسم المؤلف كاملاً مبتدأ بالكنية أو الاسم الأخير، وعنوان المصنف تحت خط متعرج وذكر الأجزاء أو المجلدات واسم المحقق أو المترجم ورقم الطبعة، ومكان النشر ثم اسم المطبعة أو دار النشر ثم سنة النشر ويتبع في قائمة المصادر النظام الآتي:
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير.
- تاريخ المرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، مصر دار المعارف، د.ت.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق محمد محمود شاكر، ط٢، دار المعارف بمصر. د.ت.

— الشايب، أحمد، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٦.

٨ — تثبت الهوامش على النحو التالي:

يذكر لقب المؤلف ثم الجزء ثم رقم الصفحة، وإذا كان للمؤلف أكثر من مصنف في البحث فيذكر لقب المؤلف ثم عنوان المصنف ثم يليه الجزء ثم رقم الصفحة، ويتبع في الحواشي النظام الآتي:

— الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٩١.

— الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢، ص١٢٠.

— الشايب، ص٤٠.

٩ — توضع أرقام التوثيق بين قوسين وترتب متسلسلة حتى نهاية البحث، فإذا انتهت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى عند الرقم (٦) يبدأ التوثيق في الصفحة الثانية بالرقم (٧) وهكذا.

١٠ — أصول البحوث التي تصل للحواليات لا ترد ولا تسترجع سواء نشرت أو لم تنشر.

١١ — لا تقبل الحواليات البحوث التي سبق نشرها، كما لا يجوز نشر البحوث في مجلات علمية أخرى بعد إقرار نشرها في الحواليات إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من رئيس تحرير الحواليات.

١٢ — عند طباعة البحث المقبول للنشر على المؤلف أن يقوم بمراجعة تجربة الطبع الأخيرة بمطابقتها على الأصل، مع مراعاة عدم إجراء أي تغييرات فيها تختلف عما ورد في الأصل، سواء بالإضافة أو الحذف.

١٣ — تمنح إدارة الحواليات لمؤلف كل بحث منشور ثلاثين نسخة مجانية من بحثه.

١٤ — ترسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحواليات إلى:

رئيسة تحرير حاليات كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الكويت

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

الرسالة السادسة والثمانون

أدب الأضياف في الشعر العربي القديم

د. مرزوق بن صنيّة بن تنباك

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الملك سعود

حوليات كلية الآداب - الحولية الثالثة عشر - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

المؤلف

د. مرزوق بن صنيان بن تنباك

استاذ مشارك بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة
الملك سعود

أهم مؤلفاته :

- كتاب «الفصحى ونظرية الفكر العامي» الطبعة الأولى مطابع الفرزدق ١٤٠٧هـ - الطبعة الثانية مطابع الفرزدق ١٤٠٨هـ .
- «الغيور والصبور» الطبعة الأولى مطابع الدرعية ١٤١٠هـ نشر الجمعية السعودية .
- «الأدب العامي ومحاور الاهتمام به» مجلة الدارة - العدد الثاني - السنة الثانية عشرة - محرم ١٤٠٧هـ، سبتمبر ١٩٨٦م .
- «التسامح في الغيرة في شعر مسكين الدرامي» مجلة الدارة - العدد الثالث - السنة الثالثة عشرة - ربيع الآخر ١٤٠٨هـ - نوفمبر ١٩٨٧م .
- «عقيل بن علقمة المري، حياته، شعره» كلية اللغة العربية - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها - الجزء الاول ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- «الشعر العامي ونتائج الاهتمام به» - مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود .
- «الجارة في الشعر العربي القديم» - مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود .

محتوى البحث

١١	التمهيد
٢٣	مآدب العرب
٢٦	حتمية الضيافة
٣٤	هداية الضيف
٣٤	أ - نار القرى
٤١	ب - الاستنباح
٥٠	كيفية استقبال الضيف
٥٤	علاقة الكرم بظروف البيئة
٦٤	خدمة الضيف
٦٧	على من تجب الضيافة
٧١	الفخر بإكرام الضيف
٨٨	المدح لمن يكرم الضيف
١٠٣	هجاء الباخلين على الضيف
١١٤	الخاتمة
١١٨	المصادر

ملخص

هذا البحث يحاول دراسة رؤية العرب للضيافة، ويتحدث عن حقوق الضيف وواجبات القرى، كما وصفها الشعراء، إذ أصبحت من الثوابت في تقاليدهم العربية وموروثاتهم، واتخذت شاهداً على أهمية الضيافة عندهم، إذ يقدمون للضيف الطعام والشراب والمأوى.

وقد حاول البحث تتبع لغة الشعراء عندما يصفون قسوة الطبيعة وحاجة المسافر إلى وجبة الطعام فلا يجدها حتى يجد الكريم المضيف الذي يهب فرحاً بمقدمه، فيسد حاجته وينشط لقراه، ثم يأخذ بعد ذلك في وصف ما قدم من عون للضيف الغريب، مما يشهد بتأصل هذه العادة عند العرب.

وقد حاولت هذه الدراسة أن تبين تطور الضيافة وواجبات القرى، واعتمدت الشعر الذي يصف واقع الحال، فأوردت منه ما يحتاج إليه البحث، ويشهد على ما تذهب إليه الدراسة من رأي.

تمهيد

ليس أظهر في شعر العرب من الكرم والفخر به وتأكيد في أقوالهم وأفعالهم وفي مناقبهم ومحامد أجوادهم، وهو - أي الكرم - اسم جامع لصفات الإنفاق المشروع والبذل للمال في سبيل تعز العرب بها، وتفاخر بفعلها، وتدعي أن لها فيها القدر المعلن، فجاءت شعب الكرم عندهم متعددة ومتشابهة مع شؤون الحياة في الوقت نفسه. فإذا ذكر الكرم جاء معه إلى الخاطر ذكر الجود والسخاء والسماحة والفضل والضيافة، وكلها مما له علاقة بالعطاء وإذهاب المال فيما يعود على المرء بالذكر الحسن والثناء الجميل. وقد كان كل اسم من الأسماء أو الصفات السابقة ذا دلالة محددة عند العرب وله معنى معروف في عاداتهم الاجتماعية وفي آثارهم الأدبية ومفاخر أعمالهم، يدل كل منها دلالة خاصة مميزة ذات مفهوم اجتماعي له قوانين لا يخل بها أحد من المجتمع إلا نال أقسى عقاب معنوي رادع. كما يكون للكرم شمول واسع ومدلول فضفاض المعنى غير دقيق في تحديد خطوات الاستعمال، فالجود هو أعلى مراتب الفضل عندهم وهو أحد المرادفات لمعنى الكرم يأخذ في لغتهم معنى البذل والعطاء كما جاء في قواميس اللغة مثل قولهم: «جدت له بالمال جوداً»، وجاد الرجل بماله يجود جوداً» وأجواد العرب مذكورون، فأجواد أهل الكوفة هم: عكرمة بن ربيعة وأسماء بن خارجة، وعتاب بن ورقاء الرياحي، وأجواد أهل البصرة: عبد الله بن أبي بكره ويكنى أبا حاتم، وعمر بن عبد الله بن معمر التيمي، وطلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي، وهؤلاء أجود من أجواد أهل الكوفة. وأجواد أهل الحجاز: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما أجود من أجواد أهل البصرة.

فهؤلاء الأجواد المشهورون. وأجواد الناس بعد ذلك كثير^(١). وأورد ابن عبد ربه في العقد الفريد أسماء من انتهى إليهم الجود في الجاهلية والإسلام، وهم ثلاثة نفر في الجاهلية، حاتم بن عبد الله الطائي، هرم بن سنان المري ممدوح زهير بن أبي سلمى وكعب بن مامة الإيادي. أما

(١) انظر لسان العرب مادة «جود».

أهل الإسلام فهم عنده أحد عشر جواداً عاشوا كلهم في عصر واحد ويزعم ابن عبد ربه أنه لم يكن قبلهم ولا بعدهم^(٢) مثلهم. وهم: من أهل الحجاز: عبيد الله بن العباس، عبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص، ومن أهل البصرة خمسة نفر هم: عبد الله بن عامر بن كريز وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم بن زياد، وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي، طلحة الطلحات وهو طلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي، ومن أهل الكوفة، عتاب بن ورقاء الرياحي، وأسامة بن خارجة الفزاري وعكرمة بن ربيعي الفياض^(٣). ولكن الذين تكلموا عن الجود والأجود وذكرهم وأثنوا عليهم لم يحددوا ضوابط للجود ولا أشار أحد منهم إلى الحد الذي يسمى الإنسان عنده جواداً ولكن يفهم أن الجود عند العرب هو البذل والعطاء وليس له حد ينتهي إليه بل يستمر متسامياً حتى الفناء للمال والهلاك للنفس بعد المال ولذا وصفوا كعب بن مامة بأنه أجود والأجود وقد قال الشاعر فيه^(٤):

يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْبَخِيلُ بِهَا
وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

وجاء وصف السخاء مرادفاً للجود، يوصف به الرجل والمرأة والمفرد والجمع فيقال سخي وجواد وكريم. ويأتي وصف الفضل مثل ذلك فيقال، فَضْلٌ يَفْضُلُ وهو فاضل، ورجل مفضال كثير الفضل، والفواضل الأيادي الجميلة. . . . قال الشاعر^(٥):

سَأْبَغِيكَ مَالاً بِالدِّينَةِ، إِنِّي
أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَضَائِلُهُ
وتأتي السباحة صفة أخرى من الصفات الطيبة متقدمة على وصف الجود والكرم، فيها شفافية النفس المعطاء التي تنطلق بالمد وتنشط للهبّة وتجذّ لذة الحياة في الإنفاق، فسموا المرء الذي

(٢) يفهم بالضرورة أن المؤلف يعني بقبلهم «ولا بعدهم» أي حتى عصر المؤلف.

(٣) العقد الفريد، ج ١ ص ٢٩٣.

(٤) انظر لسان العرب مادة «فضل».

(٥) كان كعب قد أثر رفيقه بشربة ماء تحمل الظمأ حتى هلك ونجا رفيقه بسبب إثارة إياه بحظه من الماء.

تغلبه سجيته إلى الإنفاق والبذل سمحاً وفعله سماحة، ومن ذلك قول جرير بن الحنظلي يمدح الوليد^(٦):

غَلَبَ الْمَسَامِيحَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قُرَيْشَ الْمُعْضَلَاتِ وَسَادَهَا

ومنه قول الشاعر في وصف السباحة:

فِي فِتْيَةٍ بُسْطِ الْأُكْفِ مَسَامِيحٍ
عِنْدَ الْفِضَالِ نَدِيمُهُمْ لَمْ يَذْثُرِ

ومثله قول ابن مقبل:

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي وَفِي الْحَقِّ مَسْمُوحٌ
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أَتَعَذَّرَا

هذه الصفات وغيرها عن الكرم وفرعه استعملها العرب وحددت اللغة معاني مفرداتها وتجلى مدلولها في أذهانهم وهي تعني الإنفاق للأموال وإعطاء الناس ما ينتفعون به. وقد بلغ العرب في احترام صفات الكرم مبلغاً عظيماً لأنها بذل تطوعي يقوم به الكريم رغبة في كسب الحمد والثناء والذكر الحسن، لكن ما يحاول هذا البحث تتبعه في الإرث العربي المفهوم الثقافي هوشيء آخر غير ما تقدم ذكره من خصال الكرم، إنه القَرَى والضيافة، لأنه الموضوع المميز في العقل العربي، وهو أكثر صفات الكرم التصاقاً بحياة عرب الجزيرة، وقد جعلوه مدار فخرهم ومنطلق شعرهم، فذكروهم كلما ذكروا الحياة وكلما ذكروا العادات الجيدة الموروثة المكتسبة. وهو وإن كان ينطوي تحت الخصال التي ذكرت آنفاً فإنه يختلف عنها كل الاختلاف، فالضيافة وإقراء الضيف ألصق كل تلك الخلال وأقرب قبولاً لدى سكان الصحراء لما تتصف به حياة ساكنيها من شظف فتضطربهم طبيعتها إلى الانتقال الطارئ والرحلة التي لا يستطيع المسافر تحديد أمد لها ولا يتوقع لها نهاية،

(٦) انظر لسان العرب مادة «سمح».

فقد يخرج في طلب الضالة وهو لا يظن أن ذلك يأخذ منه بعض اليوم لكن الضالة تبتعد كثيراً ويسير هو في طلبها وقد تكون ذهبت إلى غير الوجه الذي يريد، وطبيعة طلب الضالة وانتقالها واتساع فجاج الجزيرة أمامها تجعل إدراكها صعباً فيتبع آثارها في رحلة لا يعرف نهايتها وقد لا يكون أعدها زاداً ولا مؤنة فيحتاج أثناء رحلته إلى الطعام وإلا هلك.

وقد يجمع المرء الرحلة إلى حي لا يبعد مكانه أكثر من مسافة اليوم أو اليومين لكن الحي قد ينتقل من أرضه وينتجع أرضاً أخرى تفصلها المسافات البعيدة فيتبعه ويسير وراءه ليالي وأياماً حتى ينفذ زاده وتنبت راحلته ويشفي على الهلاك إلا أن يجد في طريقه من يعينه على استمرار الرحلة ويساعده على مواصلة المسير. وطبيعة الجزيرة هي الأخرى عامل من عوامل المهالك يتعرض المسافرون فيها للعوز والحاجة إلى قوت اليوم وما يقيم صلب الجائع لساعات معدودة. وقد تنوب الرحلة الطارئة الرجل منهم فلا يجد ما يأخذ معه من متاع، وقد يكون الجوع هو سبب خروجه^(٧) وسفره وانتقاله فلا يجد الزاد الذي يحمله معه أثناء رحلته فيضطر لطلب القرى والبحث عن طعام السفر وإلا هلك. وقد وجد في العرب أفراد معدودون سمووا بأزواد الركب^(٨) لأنهم يكفون المسافرين مؤنة السفر ويضمنون لهم معاش الطريق وجهد الرحلة، ولمشقة القيام بهذا العبء لم تذكر المصادر العربية من فعل ذلك إلا ثلاثة نفر أو أربعة كما جاء في بعض الروايات عرفوا بهذا الاسم واشتهر كل منهم بزاد الركب لما يقدم من إطعام للذين يصحبونه في رحلته. وهم مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وزمعة^(٩) بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي، وأبو أمية بن المغيرة^(١٠) بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، والأسود بن المطلب بن أسد بن

(٧) انظر حديث أبي هريرة: أن رجلاً دخل على أهله فرأى ما بهم من حاجة فخرج إلى البرية. «إكرام الضيف ص ٥٤».

(٨) المنق في أخبار قريش، ص ٣٦٨.

(٩) وقد أصبح ابن زمعة، أبو عبيدة عبد الله بن زمعة مشهوراً بالكرم والجدود معروفاً بذلك، انظر عنه وعن قصص كرمه وجوده، معجم ما استعجم للبكري ج ٣ ص ٨٧٩.

(١٠) ثمار القلوب، ص ١٠٣ ومجمع الأمثال ج ٢ ص ١٢٧.

حوليات كليفا الاداب

عبد العزى بن قصي^(١١). وإذا كانت حاجة العرب للضيافة تبلغ هذا الحد فسيكون شأن الجواد المضيف عظيماً وأمره محموداً وذكره عطرأ في الأذهان.

ومد جاءت لغة العرب فخمة مملوءة بمفردات الضيف والضيافة والقرى حشدت المعاني الكثيرة وفرعت الدلالة واتسعت أمام الضيف والضيافة فجاء في القاموس^(١٢): ضفت الرجل ضيافة وتضيفته نزلت به ضيفاً وملت إليه وقيل نزلت به وصرت له ضيفاً وضيفته طلبت منه الضيافة ومن ذلك قول الفرزدق:

وَجَدْتُ الثَّرَى فِينَا إِذَا التَّمِسَ الثَّرَى
وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ

وقال ابن بري: وشاهد ضفت الرجل قول القطامي^(١٣):

تَحْيَزُ عَنِّي خَشْيَةً أَنْ أَضَيِّفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ
إذ إنها تتحي عنه وتتأخر خوفاً أن ينزل عليها ضيفاً. وفي حديث عائشة: ضافها ضيف فأمرت له بملحفة صفراء، وفي حديث الهندي: تضيفت أبا هريرة سبعاً، وأضيفته وضيفته: أنزلته عليك ضيفاً وأملته إليك وقربته لذلك قيل هو مضاف إلى كذا أي ممال إليه، ويقال أضاف فلاناً فلاناً فهو يضيفه إضافة إذا ألجأه. وفي التنزيل: فأبوا أن يضيفوهما. وأنشد ثعلب لأسماء بن خارجة الفزارية يصف الذئب:

رَأَيْتُ حَقًّا أَنْ أَضَيِّفَهُ إِذْ رَامَ سِلْمِي وَاتَّقَى حَرْبِي

(١١) ذكر ابن حبيب في المنقأ أنهم: الأسود ومسافر وأبو أمية وزمعة. وفي مجمع الأمثال للميداني هم: مسافر وأبو أمية والأسود وفي ثمار القلوب للنيسابوري هم مسافر وزمعة وأبو أمية.

(١٢) انظر لسان العرب مادة «ضيف».

(١٣) نص البيت في الديوان كالتالي:

فردت سلاماً كارهاً ثم أعرضت كما انحازت الأفعى مخافة ضارب
ص ٤٥.

استعار له التضييف إنما يريد أنه آمنه وحاطه . قال شمر سمعت رجاء بن سلمة الكوفي يقول : ضيفته إذا أطعمته ، قال : والتضييف الإطعام . . . وتضيفته سألته أن يضيفني وأتيته ضيفاً قال الأعشى :

تَضَيَّفْتُه يَوْمًا فَأَكْرَمَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدًا

وقال الفرزدق :

وَمِنَّا خَطِيبٌ لَا يُعَابُ وَقَائِلٌ وَمَنْ هُوَ يَرْجُو فَضْلَهُ الْمُتَضَيِّفُ

وضيفته أنزلته منزلة الأضياف . . . وفي التنزيل : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ، وفيه هؤلاء ضيفي فلا تفضحون . وقال الشاعر :

إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عُدُورًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى تَسْتَقِيلَ مَرَاجِلُهُ

هذا بعض ما جاء من مادة الضيف في قاموس اللغة العربية وهي مادة تدل على السعة والانتشار والتشعب . وللسعة في استعمال العرب معناها ودلالاتها عندهم عندما ترتبط بعادات وأعراف اجتماعية أصبحت علامات ذات قيم معنوية تحترم ويحافظ عليها وتلتزم العرب بأدائها وقوانين العلاقات الناشئة عنها ، ولولم يكن لها من رابط العلاقة إلا ما جاء في القرآن الكريم لكان ذلك كافياً فقد جاء فيه ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١٤) . وقوله : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(١٥) . وجاء على لسان لوط : فاتقوا الله ولا تحزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد^(١٦) . وقال في موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾^(١٧) . وقد جاءت آيات القرآن التي أشارت إلى الضيف أو تحدثت عنه بوصف التوقير والاحترام له والإطعام

(١٤) الحجر الآية ٥١ .

(١٥) الذاريات الآية ٢٤ .

(١٦) هود الآية ٧٨ .

(١٧) الحجر الآية ٦٨ .

والحماية، وهو ما كانت العرب تعرفه وتأخذ به وتلتزم بأدابه التزاماً مباشراً مؤكداً الاتفاق عندهم على وجوب إكرام الضيف النازل وهو في الآيات كلها التي جاءت في القرآن يوصف بأنه يأتي نكرة غريباً غير معروف عند من أتى إليهم، ففي سورة الكهف: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلُهَا فَأَتَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾^(١٨). فموسى وصاحبه جاءا نكرتين غريبتين على أهل القرية غير معروفين عندهم. وفي سورة الحجر: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾^(١٩). فالقادمون إليه كانوا غرباء عنه مجهولين منه تبعث غرابتهم الخوف في نفسه والقلق فقام بواجب الضيافة كما تصفه الآية التاسعة والستون من سورة هود ﴿قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾^(٢٠). فلم يترث بقرى الضيف ولكنه عجل به كعادة العرب بتعجيل قرى الأضياف وإكرامهم بالطعام وأطياب الموجود حتى لو كانوا غرباء لا يعرفونهم ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾^(٢١).

وكذلك كان ضيوف لوط عليه السلام أتوه منكبين لا يعرفهم فقدم لهم الحماية وحاول أن يقيمهم السوء ببناته وتوسل إلى قومه ألا يخزوه في ضيفه ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ. قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ. قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٢٢) كل ذلك القلق العظيم والخوف الحاد والتوسل الذي أظهر به كربته وأبان عن مصيبتة في عصيان قومه وحرمة أضيافه من أجل الضيف قبل أن يخبروه بحقيقة أمرهم ويقولوا له القول الفصل ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ...﴾ الآية^(٢٣).

(١٨) الكهف الآية ٧٧.

(١٩) الحجر الآية ٥١ - ٥٢.

(٢٠) سورة هود الآية ٦٩.

(٢١) سورة هود الآية ٧٠.

(٢٢) سورة الحجر الآية ٦٨ - ٧٠.

(٢٣) سورة هود الآية ٨١.

ففي كل ما تقدم من آيات القرآن وقصص الأولين يأتي الضيف طارئاً على رب المنزل لا يعرفه ولا تربطه به رابطة ولا قرابة ولا نسب فيسرع في إطعامه محتفياً به متخفياً عنه متلطفاً كما في قوله تعالى في وصف نبيه إبراهيم ﴿فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ﴾ وفي معنى ذلك يقول المفسرون إنه انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهره على ما يريد^(٢٤). وهي عادة عربية لا زالت حتى يومنا هذا عند الناس إذ يحاول صاحب المنزل ألا يرى الضيف ما يقدم له من قرى أو ما يقوم به المضيف من تهيئة لطعام الضيف، فيسارع خفية إلى ما لديه فيأتي به وكلما كان الطعام المعد للضيف سريعاً كان ذلك أظهر للكرم والطف على الضيف الذي لا يود أن يثقل كاهل مضيفه بما يقدم له من طعام كما يدل على سرور المضيف وأنه غير متباطيء ولا مستثقل لقرى أضيافه ولا متكلف فيما يفعل. وقد جعل المفسرون الآيات التي ذكرت الضيف وإكرامه وتقدمت به إلى عهد إبراهيم حجة تدل على أن الكرم والضيافة عادة منذ القدم وأن الضيف الكريم صفة خاصة لضيف إبراهيم أخذاً من قوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢٥). لأن إبراهيم قام على خدمتهم والاعتناء بهم وهو نبي من الأنبياء، كما وصفوا إبراهيم بالكرم وأنه يكنى أبا الضيفان وكان لقصره أبواب بعدد الاتجاهات الأربعة يدخل الضيف من حيث أتى^(٢٦). وانتقال مرجعية الكرم والضيافة العربية إلى أصول سامية بعيدة مغرقة في التاريخ مثل إبراهيم والأنبياء بعده موسى وشعيب دليل على بعد العهد الذي يمكن أن تعود إليه أدبيات الضيافة العربية ودليل على قيام العلاقة القوية الناشئة عنها. وهو أمر متفق مع وعي العادات الاجتماعية العربية في الجزيرة التي وجدت منذ وجد العرب، فصار تكوينهم المعرفي لعادات الضيافة يملأ خيال شعرائهم ويحسم قصص أمجادهم.

ولا يشك بعض الباحثين المحدثين في أن كثيراً من الأخبار قد تطرق إليها الخيال والمبالغة

(٢٤) الجامع لأحكام القرآن جـ ١٧ ص ٤٥.

(٢٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٤٤.

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٠ ص ٣٥.

فيما يخص الكرم ومنها الضيافة ولكنها في زعمهم على ما فيها من خيال ومبالغة تبقى صورة لأصالة الكرم في نفوسهم وشيوعه بينهم^(٢٧). وستحاول هذه الدراسة تجريد البحث من الخيال المغرق والمبالغة التي لا يستطيع العقل تصديقها بسهولة وسيغفل ذكرها وي طرح دلالتها في قصص القصص وأحاديث الرواة وشعر الشعراء، وسيعتمد إلى النص الشعري يستقرؤه وينظر في جملة وكلماته ودلالاتها الاجتماعية والمعنوية وحسبه أن يتجاوز مع خيال الشعراء ومبالغاتهم في حدود المقبول من الأعراف الاجتماعية ذات الشمول والاتساع. والنص الشعري في الجاهلية يعد قيمة معرفية تتفق مع طبيعة الفطرة المقبولة التي نما العمل بها سريعاً واتخذت رؤية شمولية لمعاني الكرم ونظمته تنظيمياً ملزماً غير الواقع الاجتماعي وأثر به تأثيراً مباشراً، فكانت الضيافة أهم قواعد ذلك التنظيم فارتضت العمل بها العرب كافة وقويت قوة تكاد تبلغ حدَّ الإجماع على قبول مسلماتها الاجتماعية، ولا يقوي على الحياة والاستمرار الأبدي إلا العادات الأصيلة التي تستمد أصولها من مكارم الأخلاق الفاضلة ذات القبول المرضي في التكوين الاجتماعي، ولا شك أن الضيافة من هذا النوع فعاشت عمقاً بعيداً في الذاكرة الجماعية والفردية، وعندما جاء المؤثر الأقوى والمحرك الأسمى وهو الإسلام كانت زوج النبي خديجة بنت خويلد تطمئنهُ ألا يخزيه الله وفيه من خصال المروءة والكرم ما فيه. فتقول له وهو يقص عليها قصته وما يأتيه «والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصدق الحديث وتصل الرحم وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وتؤدي الأمانة». تلك خصال تجمع المروءة الحقّة والإنسانية الواعية للوظيفة الاجتماعية النافعة وهي خصال زادها العرب رسوخاً وقوة ورعتها أعرافهم وتقاليدهم الخالدة. وبعد الإسلام قوي التمسك بأداب الضيافة أيما قوة وأعطاه الإسلام دفعاً إيجابياً وهياً لها مكاناً بارزاً في تعاليم الدين فنزل القرآن يذكر الضيف وحقوق الضيافة والقرى ويقص علينا قصص المرسلين الذين عرفوها ورعوها حق رعايتها.

(٢٧) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٣١٠.

ثم جاء الشق الثاني من تعاليم الإسلام وهو السنة فجعلت للضيافة بعداً دينياً وأيدت ما كانت العرب تؤمن به وتفعله من أجل المدح والفخر والذكر الحسن في الدنيا والتظاهر أمام الأنداد بالجلود ومحامد الأخلاق. فتحول ذلك كله إلى عمل يرجى حمده في الدنيا وثوابه في الآخرة فزاد في النفوس توثيقاً وتقديراً. وقنن الإسلام العادات والتقاليد التي تتعلق بأداب الضيافة وحق الضيف وزمنه وما يجب له سنها فيها يأتي من نصوص الشعر وسنورد منها ما يقوم به الدليل وتقوى به الحجة وأوله الحديث الشريف: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه^(٢٨) فقد ربط بين الإيمان الذي لا يقبل عمل المرء بدونه وإكرام الضيف. وأيد مكارم الأخلاق فقال فيها روى مجاهد عن السائب: «يا سائب انظر إلى الأخلاق الجميلة التي كنت تفخر بها في الجاهلية فاصنعها في الإسلام أقر الضيف»^(٢٩). وجاء فيها أوصى به بعض أصحابه «أقر الضيف». «ومن لم يكرم الضيف فليس من محمد ولا محمد منه» فأمره صلى الله عليه وسلم متردد بين إقراء الضيف وإكرامه وهو أمر يقتضي الوجوب. وسأل قوم من العرب ابن عباس «قالوا إننا نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونحج البيت ونصوم رمضان وإن المهاجرين يزعمون أنا لسنا على شيء فكان جواب ابن عباس لهم «كذبوا. من أقام الصلاة وآتى الزكاة وحج البيت وصام رمضان وقرأ الضيف دخل الجنة»^(٣٠).

فالقوم لم يذكروا في عرضهم لما يفعلون من أركان الإسلام إقراء الضيف ولكن ابن عباس يعيد ما زعموا أنهم يفعلونه ثم يزيد عليه إقراء الضيف. وهذه الزيادة من ابن عباس تتفق مع وظيفة التشريع في بداية الإسلام حين يأخذ المفسرون والوعاظ وأهل الفتيا بتلقي الناس الخصال المحيية للمسلم وما يرون أن عمله متمم للإسلام وموجب لدخول الجنة، وإضافة ابن عباس لإقراء الضيف وهو ما لم يورده السائلون دليل على محاولة علماء صدر الأمة وعلى رأسهم الصحابة

(٢٨) كتاب إكرام الضيف ص ٢٢.

(٢٩) كتاب إكرام الضيف ص ٤٠.

(٣٠) كتاب إكرام الضيف ص ٤١.

تأصيل هذا العرف الاجتماعي وتعميقه في نفوس الناس وإضفاء الصبغة الإسلامية عليه وإعطائه صورة الالتزام الديني . وقد حثَّ الإسلام على الإنفاق في وجوه البر فجاء في بعض الآثار «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأَمْضيت»^(٣١) وكل ذلك يصب في مجرى الإنفاق الشامل ويحث على البذل . وقد حدد قري الضيف زماناً ومكاناً فأصبح حق الضيافة ثلاثة أيام في الإسلام كما جاء في صحيح مسلم والبخاري «حق الضيافة ثلاث فما زاد فهو صدقة»^(٣٢) . ثم صار المسجد في الإسلام مكاناً لإيواء الضيف وصار أهل المسجد ملزمين بضيف مسجدهم ، وهو ما يدل على شمولية الحق ووجوب قيام الجماعة به بينما كان البيت هو المكان الذي يذهب إليه الأضياف لطلب القرى في الجاهلية .

وانتقلت مع العرب عادة القرى إلى الأمصار التي حلوا فيها فكان القرى عادة ملزمة ومحترمة عند العرب والعجم واهتموا به أيماً اهتمام وبدأوا يفخرون بماضيهم كما ذكر الجاحظ في حديثه عن الضيافة قال : تنازع رجلان أحدهما من أبناء العجم والآخر أعرابي في الضيافة فقال الأعرابي : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذاك ، قال : لأن أحداً ربما لا يملك إلا البعير فإذا حلَّ به ضيف نحره له ، فقال الأعجمي : فنحن أحسن مذهباً في القرى منكم ، قال : وما ذاك . قال : نحن نسمي الضيف «مهمان» ومعناه أنه أكبر من في المنزل وأملكتنا له»^(٣٣) . فعم الاهتمام بالضيف حتى في موطن الاستقرار وعند أهل القرى . وجاء في تعليق بعض المفسرين على قوله تعالى ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية . . .﴾ : شر القرى التي لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه^(٣٤) . وهو أمر لا خلاف فيه بين الباحثين إذ أكد الإسلام وتعاليمه أدب الضيافة وقرر حق الضيف ودعا إلى

(٣١) المتقضب ص ٥٣ .

(٣٢) إكرام الضيف ص ٥٣ .

(٣٣) المحاسن والأضداد، ص ٥٦ .

نقل النويري في كتابه صبح الأعشى : أن أول من سنَّ للضيف صدر المجلس بهرام جور : أحد ملوك الفرس . صبح

الأعشى ج ١ ص ٤٣١ .

(٣٤) الجامع لأحكام القرآن، ج ٦ ص ٢٥ .

إكرامه، كما أثر عن أهل المدينة منذ أيام الرسول الأولى فيها أنهم على الرغم من فقرهم وحاجتهم هم وأولادهم للطعام وعدم وجود الكفاف منه، كانوا يؤثرون أضيافهم على أنفسهم وعلى أبنائهم وأهليهم ويحتسبون ذلك قرينة وتعبدًا ويحرصون عليه^(٣٥) حتى كان أهل البيت منهم يطفئون السراج ويوهمون الضيف بمشاركته الأكل بينما هو في الحقيقة يأكل وحده حتى يشبع ويبتسون جوعاً. وقد وردت في هذا الشأن أحاديث كثيرة جمعها أبو إسحاق الحربي في كتابه إكرام الضيف وأوردها غيره من أهل الصحاح والمسانيد والسنن ومنها حديث: إذا حلف أحدكم على يمين ورأى خيراً منها... الحديث، وحديث «بل أنت أبرهم وأخيرهم» وسبب نزول الآية ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ ومناسبته متعلقة بإكرام الضيف والاهتمام به على شح وفقر وحاجة. ونقل أبو حيان التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة قول مالك: كل بيت لا يدخله الضيف لا تدخله الملائكة^(٣٦). وكانوا يعيرون من يأكل وحده. وقالوا: ما أكل ابن عمر وحده قط، وقالوا: ما أكل الحسن وحده قط^(٣٧) وشاهد هذا من الشعر قول قيس بن عاصم المنقري^(٣٨):

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَحْدِي

(٣٥) كتاب إكرام الضيف ص ٥٢.

(٣٦) الإمتاع والمؤانسة ج ٢، ص ٦٨.

(٣٧) البخل ص ١٦٢.

(٣٨) الكامل ج ٢ ص ٧٠٩.

مآدب العرب

على الرغم من أن جزيرة العرب أرض غير ذات زرع وهي صحراء يغلب على حياة سكانها الترحل والانتقال وطبيعتها قاسية ومناخها صحراوي قليل الخصوبة، فإن لأهلها آداباً في الطعام وأعرافاً وتقاليد يلتزمونها في كثير من أحوالهم، بل لعل لهم من أشكال المآدب وضروب الدعوات ما ليس لغيرهم من الشعوب. وكأنهم بتعدد مناسبات الإطعام واهتبال الفرصة لتقديم الطعام يعوضون قسوة الطبيعة وظواهر الحرمان وشظف الصحراء فيقبلون مناسبات للوجود والدعوة وقيمون الأفراح العامة ويتفننون في إتقان الأطعمة والدعوة إليها وإحسانها الأمر الذي لم يكن متوقعاً من أناس يعيشون حياة غير مستقرة لا تساعد على التأني في صنع المناسبات وفي أنواع المأكولات والأطعمة. إلا أن ذلك لم يمنع العرب في الجاهلية وصدر الإسلام من الاعتناء بالطعام. وقد أحصت كتب التراث أكثر من ست عشرة مناسبة تقام فيها الاحتفالات ويطعم فيها الطعام. ومنها: الوليمة وهي الطعام الذي يصنع عند الزواج واقتراح الرجل بالمرأة فاعتنوا به وبالغوا في تقديم الطعام للناس في هذه المناسبة، وقد كان يدعى لها الأشراف والوجهاء وأهل الشأن والمكانة الاجتماعية الخاصة، ولهذا نسب للرسول صلى الله عليه وسلم الأثر المشهور: شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها من لا يأتيها ويمنع عنها من يأتيها» وقد أمر الرسول عبد الرحمن بن عوف أن يولم ولو بشاة^(٣٩). ومنها المأدبة وهي إعداد الطعام للناس كافة وقد فخروا بذلك وأشادوا بالآدب الذي لا يخص بدعوته أحداً من الناس دون آخر فقالوا:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَ لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

وفي الحديث الشريف «القرآن مأدبة الله»^(٤٠). ومن المآدب عندهم الدعوة وهي تقديم

(٣٩) البخلاء ص ٢١٣.

(٤٠) البخلاء ص ٢١٣.

الطعام للحَي والمقيمين فيه بلا استثناء وبدون مناسبة محددة . وقد جعلوا للخطبة أو عقد القران طعاماً يصنع ويدعى إليه ، وكانت عندهم الخرس وهو الطعام الذي يصنع للنساء من النساء خاصة ثم العقيقة وهي الطعام والدعوة إليه عندما يولد الولد ، ثم الإعذار أو مأدبة الختان كما يسمى في العصر الحاضر وذلك أن الختان يتأخر حتى يبلغ الفتى الخامسة عشرة أو تزيد ، وعندهم طعام الشندخ وهو بمناسبة الزواج وإعلانه وما يتهيج به رب الضالة عند وجودها . والنقيعة وهي ما يصنع للقدوم من السفر ويدعى إليه ، وكذلك الاحتفال بالبيت الجديد أو الانتقال إليه ويسمون ذلك الوكيرة . وفرقوا بين حال وحال وفي تقديم الطعام وتسميته فجعلوا التحفة هو الطعام الذي يصنعونه للزائر . وأما الأضياف فطعامهم يسمى القرى وهو ما نورد الحديث المسترسل عن أطعمة العرب من أجله . وصنعوا الطعام عند الوفاة وسموا ذلك وضيمة^(٤١) . ويهنا من ذكر تلك المآدب والأطعمة اهتمام العرب بالضيافة والضيف . وأن القرى إحدى مآدبهم ومناسبات حياتهم التي يفخرون بها ، فتطور لدى بعضهم قبيل البعثة شعور عميق بمعاناة الضيف فحبسوا الحبس على إطعامه ، وجعل الأجواد منهم بعض ما لهم وفقاً لأعمال الخير الدائمة ومنها قرى الأضياف فذكر ذلك من مناقبهم ، فقد جعل عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم قبته ملاذاً للخائفين والجائعين فلا يدخلها خائف إلا أمن الخوف ولا جائع إلا أطعم^(٤٢) .

ووضع ربيعة الشكري نخله وحديقته لابن السبيل وكل مقطوع ، فلما كانت حجة الوداع وضع الرسول كل مكرمة في الجاهلية إلا السدانة والسقاية فقام ابن ربيعة بن الأسود فقال : يا رسول الله إن أبي كان وقف نخلاً على أبناء السبيل أفهي مكرمة له فأمضيها؟ فأمره النبي بامضائها فسمي مورث الأضياف وفيه يقول الشاعر :

هَلُمَّ إِلَى حُكَّامِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وَلَا تَكُ مِثْلَ الْجَاهِلِ الْمُرَدِّ

(٤١) ينظر المفصل ج ٤ ص ٦٨٥ ، ج ٥ ، ص ١٨ .

وكذلك معجمات اللغة عن كل مادة وردت في هذه المناسبات وأسماؤها .

(٤٢) المحبر ص ٢٤١ .

أَوْ الْيَشْكُرَيْنِ الْكَرِيمِ فِعَالُهُمْ
بَنِي مُورِثِ الْأَضْيَافِ مِنْ آلِ أَسْوَدَ

وقد تمى معاوية بن أبي سفيان أن تكون له مكرمة ربيعة بن الأسود مكان خلافة (٤٣).

ولا شك أن هذه المواقف المشرفة في تاريخ العرب وفي عاداتهم تصلح دليلاً لما وصل إليه الشعور العام من اهتمام بالضيافة ومساعدة الغريب وابن السبيل ومن تنقطع به الطريق ويشق عليه السفر. ولم يعد مستغرباً أن يكون للضيف مساحة كبيرة من شعر الشعراء وفخر الفآخرين بمحامد أجوادهم وأعمال الفضيلة عندهم، وقد نال عادة الضيافة وإكرام الضيف شيء كثير من الاهتمام الجماعي وقُلَّ ما عرض شاعر من العرب للمدح أو للذم إلا وجعل من شعره نصيباً طيباً للمدح بكرم العربي لضيفه أو هجائه بإهماله.

(٤٣) المحير ص ١٤١، انظر المفضل عنها أيضاً ج ٥ ص ٧٥.

حتمية الضيافة

رسخ قري الضيف في العقل العربي وتأصل حتى صار حقاً لازماً لا يلغيه أو يقلل منه حال من الأحوال أو ظرف من الظروف الطارئة في حياة العرب ، وما أكثر ما يحدث من ظروف وما يطرأ من طوارئ الدهر ، وحتى الحرب وهي أقسى ما يقع بينهم لا تمنع أحد المتحاربين من تقديم القرى للمحارب الآخر إذا نزل عليه ، فقد ذكر من أخبار الجاهلية أن أبا كرب تبع غزا الأوس والخزرج في يثرب عندما أنفوا طاعته وعصوا أمره فكانوا يحاربونه في النهار فإذا جن الليل وتوقفت الحرب أخرج الأوس والخزرج طعام الضيافة لجيشه وقدموا لهم القرى الذي يرونه واجباً عليهم حتى في مثل تلك الحال من الحرب والقتال^(٤٤).

ينقسم سكان الجزيرة إلى أهل مدر وأهل وبر ، ولأهل المدر الحصون الحصينة والقلاع والأبواب المرتجة التي تمنع الطارق من الدخول إليها وطلب الطعام من أهلها في الليل ، ففطنوا إلى ذلك وأثر عن بعض سكان الحصون والقرى أن فيهم من كانوا لا يغلقون أبواب بيوتهم في الليل خشية أن يطرقهم ضيف وهم نيام فلا يجد أحداً يقره وقد ينام خارج البيت طويلاً^(٤٥) وقد استمرت هذه العادة حتى عهد قريب في قرى الحجاز وفي قرى المدينة المنورة فيما أعلم^(٤٦).

(٤٤) العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٣٤ .

(٤٥) مغازي الواقدي جـ ١ ص ٣٩١ .

(٤٦) كان أهل العوالي خاصة وقري المدينة المحيطة بها يجعلون غرفة خارج المنزل متصلة بسوره فيها يكون الطعام وأغلبه التمر وما يحتاج إليه الضيف كالقهوة والماء فإذا نزل في الليل لا يحتاج إلى إيقاظ أهل المنزل ، فيذهب إلى هذه الغرفة فيجد القرى فينال ما شاء وينام بعد ذلك أو يخرج في سبيله . وقد سجل الشيخ جهاز بن شرار شيخ ميمون من بني عبد الله شعراً عامياً في القرن الماضي يذكر فيه فضل أهل العوالي وإكرامهم الضيف وأنهم لا يغلقون الباب دونه فيقول :

يا ليتني سيرت يم العوالي	الي ترحب بالمساير أهلها
شرابة لبين لو قيل غالي	ما صكوا البيبان عن من دهلها

معنى الأبيات :

يقول ليته نزل ضيفاً على أهل العالية في المدينة المنورة حيث لا يجد باباً مغلقاً دون الضيف . وسبب شعره أنه قدم قرية

وجاء في أمثالهم : أقرى من زاد الركب ، وأقرى من حاسي الذهب ، وأقرى من مطاعيم
الريح ، وأقرى من أكل الخبز وأقرى من أرقاق المقوين^(٤٧) .

أما أهل الوبر أو البادية المنتقلون في فجاج الصحراء وأنحاء الجزيرة فكان شأنهم عجيبياً في
إقراء الضيف والاحتشاد له والاهتمام بأمره مع ما يعتري الناس من عوز وفاقة . وهم ينتشرون في
الصحراء ويذهبون في مجاهلها كل مذهب يطلبون الخصب ويتبعون الغيث ويرتادون مواقع الحيا
أنى كان . والمسافر في الصحراء لا يستطيع الاهتداء إليهم إلا بتتبع الأثر أو بتقصي الخبر ولكنهم لم
يعدموا وسيلة تجلب الضيف حيث كان ولم يعدم الضارب في فيافي الصحراء الواسعة وسيلة يقتفي
بها آثار النازحين . فكانت النار إحدى أمارات الهداية لمن غاب منهم أو ضل عنهم فهي توقد
للأصطلاء والطبخ وأغراض هداية التائهين كما جاء في مأثورهم «أشهر من نار على علم» ، فكانت
وسيلة لم يلبث العرب أن جعلوها مناطاً لفخرهم وجعلوا إيقادها تعبيراً عن كرمهم وحبهم في صنع
الجميل فصنفوا النيران^(٤٨) وأضافوها إلى ما تجلب وما تعبر عنه في حياتهم وما توقد من أجله ومنها
نار القرى وهي نار يوقدها الجواد في الليل وخاصة في ليالي الشتاء وغيرها ليستدل بها الأضياف^(٤٩)
وقيل هي مذكورة على الحقيقة لا على المثل وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرها وهي النار

من قرى الجزيرة وكان يريد القهوة والقرى فوجد الأبواب مغلقة واستحى أن يقرع الأبواب طلباً للطعام وتذكر عادة
أهل العوالي في المدينة وما يعرف عنهم من إكرام الضيف وأنهم لا يضطرونه لطلب القرى وقرع الأبواب ولكنها تبقى
مفتوحة وطعام الضيف معداً جاهزاً حتى في الليل والناس نيام . والقصيدة طويلة يعرفها المهتمون بالشعر العامي
وفيها يذكر اسم القرية التي عناها بشعره وقارن بينها وبين عالية المدينة .
وفي الحناكية كان الشيخ حمد بن سميحة لا يغلق باب منزله ليلاً ويبقى المكان الخاص بالضيوف مفتوحاً لطارق الليل
والشيخ حمد ما زال حياً .

وفي الإنيمة كان الشيخ سعد أبو ربيعة لا يغلق بيته في الليل خوفاً من أن ينزل ضيف فلا يجد القرى .

(٤٧) مجمع الأمثال، ج ٢ ص ١٢٧ .

(٤٨) حسب الغرض الذي توقد من أجله فمنها نار الحرب ونار القرى . . . إلخ .

(٤٩) نشوة الطرب ج ٢ ص ٨٠٠ .

التي كانت ترفع للسفر ولمن يلتبس القرى فكلما كان موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة ومن أحسنها قول الأعشى (٥٠):

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنُونُ كَثِيرَةٍ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي الْيَفَاعِ تُحَرِّقُ
فَشُبَّتْ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا وَيَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمَحَلُّ

وقال الجاحظ وأحسن من هذا الشعر في هذا المعنى ومن كل شعر في معناه قول الحطيئة (٥١):

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

ومن أحسن ما قيل في هذه النار قول الشاعر (٥٢):

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ وَادٍ إِذَا النَّيْرَانُ أَلْبَسَتِ الْقِنَاعَا
وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفِتْيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

وما أكرم وأشرف من قال وهو يأمر غلامه بالإيقاد والاستجلاب للأضياف:

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قَرٌّ وَالرَّيْحُ مَا تَرَاهُ رِيحٌ صِرٌّ
عَسَى يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنْ جَلَبْتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

وينقل فيها قول الشاعر الآخر - أي في نار القرى - وهو إبراهيم بن هرمة:

إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ ضَيْفُهُمْ رَفَعُوا لَهُ مِنْ النَّارِ فِي الظُّلُمَاءِ الْوَيْةَ حُمْرَا

(٥٠) ثمار القلوب ص ٥٧٥.

(٥١) ثمار القلوب ص ٥٧٦ ونظيره في الديان ص ٨١.

(٥٢) نهاية الأرب ج ١ ص ١١٣.

وتذهب النار في تقاليد العرب إلى بعد سحيق ومذاهب شتى حتى أصبح احتكاكها من قبل أهل السلطان والقوة علامة من علامات السيادة وصار حقها شخصياً لا يفعله الآخرون إلا بإذن صاحب الامتياز فيقول مهلهل أخو كليب بن ربيعة في رثاء أخيه^(٥٣):

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ
وَاسْتُبَّ بَعْدَكَ يَا كُليبُ الْمَجْلِسُ
وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
لَوْ كُنْتُ شَاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبُسُوا

وكان كليب وائل لا توقد مع ناره للضيفان نار في أحوائه وفيما يقرب من منازل وأوطانه . وعلى الرغم من إلحاح ما سبق من النصوص عن نار القرى وأن الكريم المضيف يشعلها الليل كله أو بعضه فإن استقرار التاريخ وغربة الواقع الذي عاشه أهل الجزيرة والنظر في شعرهم وعاداتهم وما خلفوه من إرث أدبي كثير يقنعنا بغير ذلك وهو أن النار ما كانت في بداية الأمر استجلاً للضيف إلى حيث مرابع الحي ومنازل الأجواد وسعة أهل الفضل . لكنها كانت توقد لمن كان من أهل الحي غائباً في سفر أو ذاهباً في رعي أو طالباً لصيد . فإذا انتقل الحي إلى مريع جديد ومكان آخر لا يجد هؤلاء دلالة غير النار التي توقد في الليل للغائبين فترفع على الشجر ويبلغ في إشعالها كلما كان الغائبون عن الحي لم يعودوا إليه لعلهم يشاهدونها فيؤمنونها ويعرفون أماكن نزول القبيلة والشاهد على ما نذهب إليه قول الشاعر^(٥٤):

وَنَارٍ قَدْ رَفَعْتُ لِغَيْرِ خَيْرٍ رَجَاءٍ أَنْ تَأْوِيَنِي الرَّعَاءُ
تَأْوِيَنِي طَوِيلُ الشَّخْصِ مِنْهُمْ يَجُرُّ ثِفَالَهُ يَرْجُو الْعِشَاءُ

(٥٣) الحماسة ج ٢ ، ص ٩٢٨ .

(٥٤) البخلاء ص ٢٢٩ .

فَكَانَ عَشَاءَهُ عِنْدِي خَزِيرٌ بِتَمَرٍ جَثِيثَةٍ فِيهِ نَوَاءٌ

إن النار تجلب كل من رآها ومنهم اللص السارق والعدو الغازي والموتور الثائر وغيرهم ولا أظن أحداً من العرب في فجاج الصحراء يود أن يهتدي إليه هؤلاء أو يعرفوا مكانه . ولكن اضطروا لإيقادها فكانت سبباً في جلب الضيف والمسافر الذي يضرب في مفاوز الجزيرة الواسعة ويخبط الليل بحثاً عن مأوى أو طلباً لوجبة طعام فيحقق له هدف لم يرده الموقدون لها فنسي الغرض الأول من إيقادها وأصبح الفاخرون منهم يذكرونها على أنها توقد للضيف وترفع له ، وسنجد الشعراء يدعون ذلك ويزعمون أنه إذا رأى النار غريب مسافر وقدم إليها طالباً القرى فإنهم من أجله أشعلوا النار رغبة في رؤيته وإقرائه والتفضل عليه . ولا يستبعد بعد أن أصبحت نار القرى موضع فخر أن يوجد من يشعلها ويرفعها في بعض لحظات الإشراق النفسي وثورة الأريحية في وجدانه للأضياف - كما نصت الأبيات السابقة - وهو يعرف أنها ستجلب الضيف وكل من رآها واستطاع الوصول إليها .

وليست النار وحدها الدليل الذي يستدل به الضالون في مفاوز الجزيرة ، فالنار لا توقد الليل كله ولا نصفه إلا فيما قلّ وندر وطبيعة الحياة هو أن إيقاد النار يستمر بعض الليل لا كله فإذا هدأت الحركة واستسلم الناس لسلطان النوم بعد جهد مملوء بالكد والتعب والتقلب في شؤون الحياة كان الكلب هو الحارس الذي لا ينام يسهر يحوط الحي ويحرس الماشية ويعلو نباحه كلما جن الليل غير هادئ . فاهتدى به الأضياف والضلال وقد ساء العرب داعي الضمير لما يجلب من الأضياف عليهم بنباحه ، وقد ذكر صاحب المستطرف أنهم كانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحي وربطوها إلى العمدة لتستوحش فتنبج فتهتدي الضلال ويأتي الأضياف على نباحها^(٥٥) . وهذا القول هو أقرب إلى الحقيقة أو هو الحقيقة ذاتها فالنار والكلاب ما كانت في بداية الأمر لهداية الضيف وإنما كانت لهداية الضال من أهل الحي . وحرصهم على عودة أحد أفراد الحي هو الذي جعلهم إذا غلبهم النوم فلم يستمروا على إيقاد النار ربطوا الكلاب إلى العمدة بعيداً عن الحي حتى تستوحش وتنبح . وتلك عادة من عادات العرب حتى في العهد الماضي

(٥٥) المستطرف ج ١ ص ٣٧١ .

حوليات كلية الآداب

القريب كانوا يفعلون هذا الفعل إذا انتقلوا من مكان إلى آخر وكان لهم غائب يتوقعون قدومه على آثارهم. لكن الضيف سيجد طريقه إلى الحي مع الغائبين ولن يستطيع أحد منعه. وقد اختلط لهذا السبب ذكر النار ونباح الكلب في استجلاب الضيف لأنه غير المطلوب ولا المستجلب. والضيف من جانبه كان يحرص على سماع النباح فيحاول إذا اقترب من منطقة مأهولة تقليد صوت الكلب والنباح كما ينبج الكلب فتجيبه الكلاب إن سمعت صوته فيعرف مكان الحي ومراجه. وقد وصف الشعراء هذا الموقف في مواضع كثيرة ومناسبات متعددة في شعرهم الذي وصل إلينا مثل قول أحدهم^(٥٦):

وَمُسْتَنْبِحٍ قَالَ الصَّدَى مِثْلَ قَوْلِهِ حَضَاتُ لَهُ نَارًا لَهَا حَطَبٌ جَزَلُ
وَقُمْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعًا فَعَنِمْتُهُ خَافَةَ قَوْمٌ أَنْ يَفُوزُوا بِهِ قَبْلُ
فَأَوْسَعَنِي حَمْدًا وَأَوْسَعْتُهُ قِرَى وَأَرْخَصَ بِحَمْدٍ كَانَ كَاسِبَهُ الْأَكْلُ

ويفخر أروطاة بن سهية فيقول^(٥٧):

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ إِلَى الضَّيْفِ مَوْهِنًا
إِذَا أَغْدَقَ السَّتْرَ الْبَخِيلُ الْمَوَاكِلُ
دَعَا فَأَجَابَتْهُ كِلَابٌ كَثِيرَةٌ
عَلَى ثِقَةٍ مِنِّي بِمَا أَنَا فَاعِلُ
وَمَا دُونَ ضَيْفِي مِنْ بِلَادٍ تُحَوِّزُهُ
يَدُ الضَّيْفِ إِلَّا أَنْ تُصَانَ الْحَلَائِلُ

ومثله قول إبراهيم بن هرمة عندما فخر بنباح كلبه وفرحته بضيفه^(٥٨):

(٥٦) الكرماء ص ٢٣ الحامسة ص ١٥٦٩.

(٥٧) الحيوان ج ١ ص ٣٦٧.

(٥٨) الحيوان ج ١ ص ٣٦٧.

وَمُسْتَنْجِحٍ نَبَّهْتُ كُلِّي لِصَوْتِهِ
وَقُلْتُ لَهُ قُمْ فِي الْيَفَاعِ فَجَاوِبِ
فَجَاءَ خَفِي الصَّوْتِ قَدْ مَسَّهُ الضَّوَى
بِضَرْبَةِ مَسْنُونِ الْغِرَارَيْنِ قَاضِبِ
فَرَحَّبْتُ وَأَسْتَبَشَرْتُ حَتَّى بَسَطْتُهُ
وَتِلْكَ الَّتِي أَلْقَى بِهَا كُلَّ آتِبِ

وكان طارق الليل أكثر الأضياف مؤنة وأشدّهم على مضيفه عناء إذ لا يتوفر شيء يقرى به ولا يسهل تقديم الطعام إلا أن يوقظ أهل البيت حتى يكمل واجب الضيافة وهو أمر لا يخفى ما فيه من المشقة حتى لو كان الطعام موجوداً والقرى متوفراً، فما بالك إذا كان الطارق في هزيع الليل قد ساقه حظه التعس إلى بيت لا يجد أهله الطعام لأنفسهم فضلاً عن زيادة يقتات بها الضيفان. إن العبء الذي يلقيه هذا الطارق عظيم والقيام بواجب الضيافة شاق وقد يدفع الأمر صاحب المنزل إلى مغامرة غير مأمونة العواقب وفيها من الحرج ما لا يخفى. فقد نزل على حاتم الطائي ضيف في هجعة الليل ولم يكن ثمة قرى فنحر حاتم ناقة الضيف له وعشاه منها حتى لا يقع في عار الحرمان لضيفه وعار البخل على نفسه، ثم أرضاه بعد ذلك بعوض مجز من الإبل^(٥٩) وحدث الشيء نفسه للراعي النميري وسجل معاناته وما لقيه بقصيدة من أجل ما قيل في المعنى سترد فيما يأتي من نصوص الشعر^(٦٠).

ويأتي التعبير عند الخطيئة في موقف شعري رائع فيقص حرجاً عظيماً وقع فيه أهل بيت من العرب وهم في صحراء مقفرة أوغلوا فيها حتى لا يروا أحداً من الناس ولا يجتمعوا إلى أحد من البشر وهم عراة جوع فطرقهم الضيف الطالب للقرى فلم يمنعهم ما هم فيه من يؤس عن حقوق الضيافة. وعلى الرغم من أن الخطيئة^(٦١) يتخيل صورة قصصية لأبطال

(٥٩) المحاسن والأضداد ص ٥٧.

(٦٠) ديوان الراعي النميري ص ٥.

(٦١) سترد القصيدة في مكانها من البحث.

حوليات كلية الآداب

مشهده الشعري إلا أن قصته واقعية تحكي حال العرب وتدلل على مكانة الضيف والتزامهم بواجب الضيافة في أي ظرف من ظروف الحياة . وليست الأيام كلها بتلك القسوة الحادة التي تصورها الأبيات الكثيرة والفخر الماطر الذي يصف تجاوز العربي لكل العوائق والظروف وتفتيقه للحيل حتى ينجح بقراء الضيف . إنما توجد ظروف الخصب والنماء والنعمة التي تمكن الرجل الجواد من إكرام الضيف وإعطائه من سعة وترفيهه بأنواع الطعام . فنجد أنواعاً كثيرة وصنوفاً شتى تقدم للضيف قبل الوجبة الأساسية منها العجيل أو العجل وهو طعام يقدم إلى الضيف حال نزوله ويكون من السوق والتمر في أغلب الأحيان ، ومنها القفي وهو اللبن الذي يعطى للضيف بعد الطعام ومنها القفارة وهو المرق الذي يقدم للضيف قبيل الوجبة الأساسية^(٦٢) . ولهذه الضيف وهو طعام خفيف يقدم للضيف يتلهى به ويرد جوعه حتى يهبأ الطعام ومن أمثالهم في هذا المعنى كسرة بملح إلى أن يدرك الشواء^(٦٣) وقد تمدحوا بتعجيل القرى للضيف وذبوا بإبطائه إذ الإبطاء دليل على تعسر معنى الكرم في نفوسهم وإبطاء بحق الضيف ولذا هجا الشعراء من يؤخر القرى في مثل قولهم :

أَسَأْتُمْ وَأَبْطَأْتُمْ عَلَى الضَّيْفِ بِالْقَرْىِ وَخَيْرُ الْقَرْىِ لِلنَّازِلِينَ الْمُعْجَلُ

وقيل في الأثر: العجلة من الشيطان إلا في خمس منهن ، إطعام الضيف إذا حل^(٦٤)!

وقد سمي حي من أحياء العرب ببني العجلان لأنهم كانوا يعجلون بقرى الضيف ويسرعون إليه^(٦٥) فكانت مفخرة لهم وانتسبوا إلى العجلان لفضل عمله وشهرته بما يحمده الناس له ويشنون به عليه .

(٦٢) الفصل جـ ٤ ص ٦٨٦ .

(٦٣) وثمار القلوب ص ٦٠٨ .

(٦٤) الإمتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٦٨ .

(٦٥) العملة جـ ١ ص ٥٢ .

هداية الضيف

أ - نار القرى:

تمتد الجزيرة امتداد الأفق وتتسع فجاجها أمام السالكين اتساع فضاء سائها فتصبح الهداية فيها أحد ضروب المستحيل . وأبعد ما يرى المسافر فيها هو ضوء النار في ليالي الشتاء الدامسة حين يوقدها الحي النازلون عند أطباق الليل على فسحة الكون من حولهم ، للاصطلاء عليها والاجتماع حولها والتعلل بضوئها قبل أن ينهض كل منهم إلى فراشه ، فيمتد شعاع النار امتداد الأفق ويرتفع سناها في كبد السماء فلا يحجبها حاجز عن الناظرين مهما كان البعد ، وقد صار لضوء النار شأن أي شأن في جلب الضيف الذي يضرب في متاهات الصحراء ومفازات الأرض ، فلا يكاد يرى النار حتى يتجه إليها ويطلبها ليقطع وحشة الليل ويرتاح بعض الوقت من وعثاء السفر وينال وجبة طعام قد تكون هي مطلبه الأول .

وما سوف يرد من الشعر الذي يصف نار القرى وما تجلب من الأضياف هو نتيجة مفروضة تقبلها الشاعر وحوها إلى فخر له ومباهاة للآخرين وجعلها إحدى علامات الكرم في جبلته فيرتفع فوق أقرانه ويشهر في حيه ، ويؤكد في كل كلمة يقولها أنه أوقد النار عمداً وأشعلها قصداً لتجلب الضيف إليه فيراها ويستبشر به ويستعد لإكرامه ويثبت لأقرانه أنه جواد مضياف لا يطفئ النار خشية مغرم الضيافة ولكنه يشعلها لمن أتى طارفاً ويسرع إلى القرى وينهض بحقوق القادمين ، وما دام ذلك يحتاج إلى تتبع الشعر حتى يكون وثيقة الاعتدال وحجة المدعي فإن الاستشهاد به يجب أن يكون أولاً قبل عرض فلسفة القرى وعلاقة النار بجلب الضيف وآداب العرب فيما يصر على ذكره الشعراء حتى يتضح إذا كان قوله مطابقاً للواقع أو أنه يدعي هذا الادعاء ويوقد النار لغير القرى .

إن تمثل الحياة لسكان الجزيرة التي يغلب عليها طابع التقشف والعوز يقرب إلى الأذهان الصورة المشرقة المطلوبة ويجعلها قيمة فوق أكثر القيم ويجلو الجانب الإيجابي منها فيصير ترويحاً للنفس وتهية للإقدام على مجازفة كبرى عندما تكون الرغبة في صراع الطبيعة

حوليات كلية الآداب

قوية في نفس العربي الجواد لا ينهض بها ما يملك من حطام الدنيا ولا يمكن أن ينهض بها وحده ومع قلة ذات اليد يقدم ولا يتردد ويرفع النار وإن قل ما لديه ويخل عليه من حوله . ولا بد أن تكون الكثرة التي يدعيها الشعراء هي في الحقيقة كثرة نسبية إلا أنه لا مرأى أنها موجودة على كل حال كما ذكروا وهذا أول شاهد يقول^(٦٦) :

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ رِيحٍ إِذَا الظُّلُمَاءُ جَلَّتِ الْيَفَاءُ
وَمَا إِنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ سَوَامًا وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعًا

فالنار تكلف موقدها بذل المال وإن كان قليل الثروة وموقد النار مقدم على تبعات الإيقاد فيتحمل أعباء ما تأتي به فخور بأنها تجلب الأضياف عندما يضعها في النشز العالي من الأرض وتسعرها الريح العاصف التي تزيد لهيبها إشعاعاً وارتفاعاً حتى يراها كل ناظر في أرجاء الأرض المحيطة به وبمن حوله^(٦٧) :

وَنَارٍ كَسَحَرِ الْعَوْدِ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا مَعَ اللَّيْلِ هَبَاتُ الرِّيَّاحِ الصَّوَارِدُ

إذن النار الموقدة علامة هداية للضيف ولغيره والموقد لها حريض على أن يرى الأضياف يؤمنونها ولا يخشى أن يرفعها عالياً حتى يحصل له الشرف الذي يطمع أن يوصف به كل رجل كريم جواد يريد الذكر الحسن والثناء العطر، وقد بالغت العرب بحب الفخر والمدح أو بالغ بعض منهم بحبهم الثناء وقدموا أموالهم طيعة بها نفوسهم من أجل أن يرتفع بها شأنهم في القبائل العربية ويطير حمدهم في الآفاق . وليس الميسر في ليالي الشتاء المقفرة والنحر لكرائم الإبل والأنهاب للمال إلا محاولات منهم لإظهار التميز بالجود والبذخ بالشرف الأشم والارتفاع إلى مكان عالٍ من حب الشهرة والحرص على كسب فضائل القيم المحمودة عندهم . والقرى أحد هذه الوسائل وإكرام الضيف سبب ممكن لانتشار السمعة

(٦٦) البخل ص ٢٤٣ .

(٦٧) البخل ص ٢٤٣ .

الحسنة فهو غريب سيذكر ما يلقي وينشر ما يعرف حين يرتحل ويغدو وهو لا شك ذاكر ما لقي كما يقول الخطيئة^(٦٨) :

وَإِنَّ الْجَارَ مِثْلُ الضَّيْفِ يَغْدُو لِوَجْهِهِ وَإِنْ طَالَ الثَّوَاءُ
وَيَقُولُ حَاتِمُ الطَّائِي^(٦٩) :

وَإِنِّي لَا أَلُو بِمَالٍ صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ حَمْدٌ
ويقول الطفيل الغنوي إن الضيف مخبر بما يلقي ومحدث عن ما يجد من الكرم أو غيره
ومذيع ما يعرف إن أكرم أذاع الإكرام وأثنى على من أكرمه وإن بخل عليه أذاع البخل ولا م
المستضاف وفضحه مع الناس فيخشاه الباحثون عن الصيت الطيب والذكر المحمود.
والأجواد يخشون لسان الشاعر ويخافونه أشد الخوف^(٧٠) :

وَقَدْ حَاذَرُوا مَا الْجَارُ وَالضَّيْفُ تُخْبِرُ إِذَا فَارَقَا، كُلُّ بِذَلِكَ مُوَلِّعٌ
والمثقب العبدى يصف ضيفاً يخبط في غياهب الظلماء، وبهم الليل يطبق عليه من كل
جانب ويحيط به فيحجب عنه الرؤية وهو جاد في سيره وحريص على أن يجد مكاناً يأوي إليه
ويستكن به، وبينما هو كذلك إذ لاح له ضوء نار كأنها في كبد السماء، فأكذب نفسه لشدة
حرصه أن تكون حقيقة، وما كاد يتيقن من ضوء النار حتى أخذ نشاطه يتجدد وعزمه يتقد
فاتجه نحوها وسار مسرعاً حتى أتاها وقد أمطرته تلك الليلة الباردة فبللت ثيابه فكان أحوج
للدفء منه للطعام وإن كانت حاجته لكل منهما إشد من الأخرى. وعند النار لقيه
المستضيف مرحباً به وكأنه صديق حميم ومستبشراً بمقدمه كأنه الغائب المنتظر فقال في وصف
ذلك الأبيات التالية^(٧١) :

(٦٨) ديوان الخطيئة ص ١٠٢.

(٦٩) ديوان حاتم ص ٢١٣.

(٧٠) ديوان طفيل الغنوي ص ٨٦.

(٧١) ديوان المثقب العبدى ص ١١٧.

وَسَارِ تَعْنَاهُ الْمَيْتُ فَلَمْ يَدْعُ
لَهُ طَامِسُ الظُّلُمَاءِ وَاللَّيْلِ مَذْهَبًا
رَأَى ضَوْءَ نَارٍ مِنْ بَعِيدٍ فَخَالَهَا
لَقَدْ أَكْذَبْتُهُ النَّفْسُ بَلْ رَأَى كَوَكَبًا
فَلَمَّا اسْتَبَانَ أَنَّهَا آنَسِيَّةٌ
وَصَدَّقَ ظَنًّا بَعْدَمَا كَانَ كَذِبًا
رَفَعْتُ لَهُ بِالْكَفِّ نَارًا تُشْبِهُهَا
شَامِيَّةٌ نَكَبَاءُ أَوْ عَاصِفٌ صَبَا
وَقُلْتُ ارْزُقَاهَا بِالصُّعِيدِ كَفَى بِهَا
مُنَادٍ لِسَارٍ لَيْلَةً أَنْ تَأْوِيَا
فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّيَاءُ تَبْلُهُ
فَلَقَيْتُهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ
بِكَوْمَاءَ لَمْ يَذْهَبْ بِهَا النَّيُّ مَذْهَبًا
فَرَجَعْتُ أَعْلَى الْحَقْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ
رَعَتْ مُسْتَكِينُ الْجَنُوفِ حَتَّى تَصْبُبَا
تَسَامَى بَنَاتُ الْعَلِيِّ فِي حَجَرَاتِهَا
تَسَامَى عِتَاقُ الْخَيْلِ وَرَدًّا وَأَشْهَبَا

ولا يختلف الشعراء على أن النار عامل جذب للأضياف ودلالة يعشوا إليها المزمعون

والسُّفَرُ وأهل الحاجة، وموقد النار هو مثنوى المعوزين وطالبي القرى كما يقول امرؤ
القيس (٧٢):

لِنِعْمَ الْفَتَى تَعَشُّوْا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
طَرِيفُ بَنٍ مَّالٍ لَيْلَةَ الْجُوعِ وَالْخَصْرِ
ويقول عمرو بن عبد الله العجلي (٧٣):

إِذَا أُخِذَ النَّيْرَانُ مِنْ حَذَرِ الْقِرَى
رَأَيْتَ سَنَا نَارِي يَشُبُّ اضْطِرَامُّهَا
أما حاتم الطائي فيطابق المعنى عند العجلي ويقول (٧٤):

إِذَا مَا الْبَخِيلُ الْخَبْءُ أَخَذَ نَارَهُ
أَقُولُ لِمَنْ يُصْلِي بِنَارِي أَوْقِدُوا
تَوْسَعُ قَلِيلاً أَوْ يَكُنْ ثُمَّ حَسْبُنَا
وَمُوقِدُهَا الْبَادِي أَعْفُ وَأُخَذُ

وهذان الشاعران يثيران الأمر الذي سنصل إليه بعد قليل وهو أن ليس كل العرب
يوقدون النار ويفرحون بالضيف ويسرون برويته لكن هناك من يخذ النار ويتقي واجبات
الضيافة وهو ما يفسر فخر الفاحرين من الشعراء باستقبال الضيف والقيام بواجبات
الضيافة، ولن يقف البحث الآن عند هذا الجانب من القضية وإنما سيمر لنسمع مزرد بن
ضرار يقول (٧٥):

(٧٢) ديوان امرئ القيس ص ١١٠ .

(٧٣) معجم الشعراء ص ٢٢٣ .

(٧٤) ديوان حاتم الطائي ص ٢٦٣ .

(٧٥) البخلاء ص ٢٤٣ .

فَأَبْصَرَ نَارِي وَهِيَ شَقْرَاءُ أُوقِدَتْ بَعْلِيَاءَ نَشَرَ لِلْعُيُونِ النَّوَاطِرِ
أما المزار الفقعسي فيرى أن النار مجلبة للضيف ويرى غيره يخفيها ولا يرفع سناها
فيعرض به ويقسم ألا يفعل كما يفعل هؤلاء^(٧٦):

أَلَيْتُ لَا أَخْفِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّنِي
سَنَا النَّارَ عَنْ سَارٍ وَلَا مُتَنَوِّرٍ
فَيَا مُوقِدِي نَارِي ارْزُقَاهَا لَعَلَّهَا
تُضِيءُ لِسَارٍ آخِرَ اللَّيْلِ مُقْتَرٍ
وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يُوَاجِهَ نَارَنَا
كَرِيمُ الْمُحْيَا شَاغِبُ الْمُتَحَسِّرِ
فَبِتْنَا بِخَيْرٍ مِنْ كَرَامَةِ ضَيْفِنَا
وَبِتْنَا نُهْدِي طُعْمَةً غَيْرَ مَيَّسِرٍ

وتعد النار رسول الكريم الجواد إلى ضيفه وإلى من يريد الطعام فهي تبلغه الطلب
وترفع له عالياً ليهتدي إليها دون أن يخاف الكريم المضيف من كثرة الطالبين للنار ويزعم
أنها حق من حقوق الضيف سواء كان قريباً أو غريباً يقول مضر بن ربيعي^(٧٧) :

وَإِنِّي لِأَدْعُو الضَّيْفَ بِالضُّوِّ بَعْدَمَا كَسَا الْأَرْضَ نَضَاحُ الْجَلِيدِ وَجَامِدُهُ
لَأُكْرِمَهُ إِنَّ الْكَرَامَةَ حَقُّهُ وَمِثْلَانِ عِنْدِي قُرْبُهُ وَتَبَاعُدُهُ
أُبَيِّتُ أَعْشِيهِ السَّدِيفَ وَإِنِّي بِمَا نَالَ حَتَّى يَتْرَكَ الْحَيَّ حَامِدُهُ

(٧٦) الحماسة ج ٤ ص ١٧٢٢ .

(٧٧) الحماسة ج ٤ ص ١٦٩٤ .

ولا يبعد الأفوه الأودي عندما يصف ناره بأنها تشب للقرى وترفع للناظرين فيكون
للضيف عندها رجب وسعة فيقول في وصف ذلك^(٧٨) :

ثُمَّ فِينَا لِلْقَرْىِ نَارٌ يُرَى عِنْدَهَا لِلضَّيْفِ رُحْبٌ وَسَعَةٌ
ويزعم مسكين الدارمي مثل ذلك^(٧٩) :

وَنَارٍ دَعَوْتُ الْمُعْتَفِينَ بِضَوْئِهَا فَبَاتُوا عَلَيْهَا أَوْهَدَيْتُ بِهَا سَفَرًا
تَضْرُمُ فِي لَيْلِ التَّمَامِ وَقَدْ بَدَتْ هَوَايَ نُجُومِ اللَّيْلِ يَحْسِبُهَا جَمْرًا
والراعي النميري يزعم أنه يرفع النار ويوقدها حتى يراها من ضل الطريق فيتجه
إليها ولا يحمد أوارها حتى يصل الطارق ويستقر للقرى فيكون له ما أراد^(٨٠) :

وَلَمَّا عَرَفْنَا أَنَّهَا أُمٌّ خَنْزَرٍ جَفَّاهَا مَوَالِيهَا وَعَابَ مُفِيدُهَا
رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تُثَقِّبُ لِلْقَرْىِ وَلَقَحَّةَ أَضْيَافٍ طَوِيلًا رَكُودُهَا
فَمَاذَا ذَكَرْتُمْ مِنْ قُلُوصِ عَقْرَتِهَا بِسَيْفِي وَضَيْفَانِ الشَّتَاءِ شُهُودُهَا
قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقَرْىَ وَأَمَّكَ إِذْ تُخْدِي إِلَيْنَا قُعُودُهَا

غونار السموءل لا تحمد خشية الضيف الطارق ولا يجيب القاصد لها ولا النازل
فيهم، يحمدهم الضيف ويثني عليهم وليسوا ممن ييخلون بمالهم فيتعرضون للهجاء اللاذع
الذي يتعرض له كل بخيل على ضيفه مانع لقراه فيقول^(٨١) :

وَمَا أَخَذْتُ نَارَ لَنَا دُونَ طَارِقٍ وَلَا دَمْنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ

(٧٨) ديوان الأفوه الأودي ص ٢٠ .

(٧٩) ديوان مسكين الدارمي ص ٤٥ .

(٨٠) ديوان الراعي النميري ص ١٩٣ .

(٨١) ديوان السموءل ص ٢٦ .

وله أيضاً^(٨٢) :

فَلَا أَدْفَعُ الضَّيْفَ عَنْ رِزْقِهِ لَدَيَّ إِذَا قِيلَ لَمْ يُرْزَقِ

وموالي العرب وعبيدهم يأخذون في مذهبهم في الفخر والمدح والحديث عن الكرم وإقراء الضيف ورفع النار ليهتدي إليها المسافرون فعبد بني الحسحاس يزعم أنه يعقر الناب ويرفع النار فيقول^(٨٣) :

فَقَدْ أَعْقَرُ النَّابَ ذَاتَ التَّلِيلِ حَتَّى أَحَاوَلَ مِنْهَا سُدَافًا
بِمَثْنَى الْأَيْدِي لِمَنْ يَغْتَفِي وَأَرْفَعُ نَارِي إِذَا مَا اسْتَضَافَا

إن الهداية إلى أماكن الاستقرار مطلب للضيف الذي يبحث عن الحلي ويريد أن يصل إليهم والنار كانت إحدى علامات الهداية وقد مرَّ ما فيه الكفاية من شعر الشعراء عن النار وأنهم كانوا يوقدونها ليراها المسافر ويذهب إليها المقيم وأنهم يوقدونها للضيف وللضال ويفخرون عندما تجلب إليهم ضيفاً فيجد رب المنزل أمامه يقدم له القرى ويلقاه باشاً هاشاً فرحاً به، وذلك أول قراه.

والضيف الضارب في متاهات الصحراء سيكون أشد شوقاً وحرصاً على معرفة الأماكن الآهلة بالناس فيطلبها بكل وسيلة ممكنة ليجد القرى ويأمن من وحشة الصحراء ويرتاح من عناء السفر ويستزيد من ما هو بحاجة إليه وهو في طريقه إلى الغاية التي دفعته إلى الرحيل.

ب - الاستنباح :

ولكن النار لن تدوم مشتعلة الليل كله ولو زعم بعض العرب أنهم يفعلون ذلك فلا بد أن ينام السامرون على ضوء النار والموقدون لها وتبقى الحاجة إلى وسيلة أخرى يهتدي بها

(٨٢) شعر السموءل ص ١٦ .

(٨٣) ديوان سحيم عيد بني الحسحاس ص ٤٥ .

الضيف على ليعرف أين يتجه وكيف يسير فكان الكلب العاوي الساهر على الحراسة، موضوعاً من موضوعات الفخر في الشعر العربي عندما يزعم الشاعر أن كلبه لا ينام، وأن الضيف لشدة حرصه على القرى وحبه في أن يجد المأوى سينبح كما ينبح الكلب، لعل الكلاب تحببه فيعرف مكان الحي فيتجه إليه وأن الكريم الجواد إذا سمع ذلك قام ورفع للضيف النار وأشلى الكلاب حتى تنبح فيدل نباحها الضيف فيقول (٨٤) :

وَمُسْتَنْبِحٌ بَاتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهِهُ
فَتَاهُ وَجُورُ اللَّيْلِ مُضْطَرِبُ الْكِسْرِ
رَفَعْتُ لَهُ نَاراً ثَقُوباً زَنَادُهَا
تُلِيحُ إِلَى السَّارِي: هَلُمَّ إِلَى قِدْرِي
فَلَمَّا أَقَى وَالْبُؤْسُ رَادِفُ رَحْلِهِ
تَلَقَّيْتُهُ مِنِّي بِوَجْهِ امْرِئٍ بَشَرٍ
فَقُلْتُ لَهُ أَهْلُ كَأَهْلٍ فَلَمْ يَجِرْ
بِكَ اللَّيْلُ إِلَّا لِلْجَمِيلِ مِنَ الْأَمْرِ
وَكَادَتْ تَطِيرُ الشَّوْلُ عِرْفَانِ صَوْتِهِ
وَلَمْ تُنْسِرْ إِلَّا وَهْيَ خَائِفَةَ الْعَقْرِ

ومثله قول الآخر (٨٥) :

وَمُسْتَنْبِحٌ أَهْلَ الثَّرَى يَطْلُبُ الْقَرَى
إِلَيْنَا وَمَسَاهُ مِنَ الْأَرْضِ نَارُجُ
والراعي النميري يقول أيضاً (٨٦) :

(٨٤) الأمالي ج ١ ص ٢١٠ .

(٨٥) البخل ص ٢٣٧ .

(٨٦) ديوان الراعي النميري ص ٢٥٩ .

وَمُسْتَنْبَحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ عَلَى الرَّحْلِ فِي طَخْيَاءِ طُلُسٍ نُجُومُهَا
رَفَعْتُ مَشْبُوبَةً عَصَفْتُ بِهَا صَبَا تَعْتَفِيهَا تَارَةً وَتُقِيمُهَا
فَكَبَّرَ لِرُؤُوسَا وَهَشَّ فُوَادُهُ وَبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا

أما عتبة بن بجير الحارثي فهو أيضاً يشارك في وصف الطارق في سواد الليل وهو يحاول أن يهتدي إلى مكان الحي فينبج كما ينبج الكلب ويتوهم لحرصه أنه يسمع نباحاً وما يسمع غير الصدى الذي يتردد في أنحاء القفر فيميل إليه ويطلبه فلا يجد شيئاً ويرهق سمعه فلا يتأكد له ما توهمه من قبل فيكرر الصوت مرة أخرى حتى يسمع صوته الرجل الكريم فلا يجثم مكانه ولا يستلذ النوم ودفع الفراش كما يقول عتبة في الأبيات الآتية (٨٧).

وَمُسْتَنْبَحٍ بَاتَ الصَّدَى يَسْتَتِيهِهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهَوَى فِي الرَّحْلِ جَانِحُ
فَقُلْتُ لَأَهْلِي : مَا بُغَامُ مَطِيَّةٍ وَسَارِ أَصَافَتِهِ الْكِلَابُ النَّوَابِحُ
فَقَالُوا غَرِيبُ طَارِقٍ طَوَّحَتْ بِهِ مُتَوْنُ الْفَيَافِي وَالْخُطُوبُ الطَّوَائِحُ
فَقُمْتُ وَلَمْ أَجْثُمُ مَكَانِي وَلَمْ تَقُمْ مَعَ النَّفْسِ عَلَاتُ النَّفُوسِ الشَّحَائِحُ
وَنَادَيْتُ شَيْلًا فَاسْتَجَابَ وَرَّيْمًا ضَمِينَا قَرَى عَشْرَ لَيْلٍ لَا نُصَافِحُ
فَقَامَ أَبُوضَيْفٍ كَرِيمٍ كَأَنَّهُ إِذَا جَدَّ مِنْ قَرْطِ الْفُكَاهَةِ مَارِحُ
إِلَى جِذْمٍ مَالٍ نَهَكْنَا سَوَامَهُ وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقُ صَحَائِحُ
جَعَلْنَاهُ دُونَ الدَّمِ حَتَّى كَأَنَّهُ إِذَا عُدَّ مَالُ الْمُكْثَرِينَ مَنَائِحُ

لقد أحسن كل الإحسان بتصوير غربة الضيف وأحسن التعبير عندما وصف إعمال المطي وما طوحت متون الفيافي كما يقول وما تعرض له الغريب من خطوب وآثار الهلكة في جوف الصحراء وهو لا يجد من يقدم له طعام يوم ولا متاع ساعة فيجيبه العربي المضياف ويخفف عنه

ألم الجوع ويؤنس وحشته فيعد ما قام به عملاً يستحق أن يفخر به الفاخرون وأن ينشد الشعر في ذكره وهذه الأبيات تعضد معنى الأبيات السابقة (٨٨).

وَمُسْتَنْبِحٌ تَهْوَى مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهُوَ لِلسَّمْعِ أَصَوْرُ
حَضَاتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا وَمَا كَادَ لَوْلَا حَضَاةُ النَّارِ يُبْصِرُ
دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ هَلُمَّ إِلَى الْقِرَى فَأَسْرَى يَبْشُرُ الْأَرْضَ وَالنَّارُ تَزْهَرُ
فَلَمَّا أَضَاءَتْ شَخْصَهُ قُلْتُ مَرْحَباً هَلُمَّ، وَلِلصَّالِينَ بِالنَّارِ أَبْشِرُوا

وشبيب بن البرصاء يقول: إن ضيفه بعيد في ظلمات الليل ويستنبح لأجل المبيت والدفع فلا يسمع شيئاً ولا يرى أحداً ولكن شبيباً يسمع استغاثته ويسرع إليه ملياً دعوته ويعمد إلى النار فيوقدها (٨٩):

وَمُسْتَنْبِحٌ يَبْنِي الْمَيْتَ وَدُونَهُ
مِنَ اللَّيْلِ سَجْفاً ظُلْمَةً وَسُورُهَا
رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا
زَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورُهَا
فَبَاتَ وَإِنْ أُسْرَى مِنَ اللَّيْلِ عُقْبَةً
بِلَيْلَةٍ صِدْقٍ غَابَ عَنْهَا شُرُورُهَا
فَلَا تَسْأَلْنِي وَاسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي
إِذَا رَدَّ عَافِي الْقَدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا
تَرَى أَنَّ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَانَهَا
لِذِي الْفَرُوةِ الْمَقْرُورِ أُمُّ يَزُورُهَا

(٨٨) الحماسة ص ١٦٤٦.

(٨٩) شعر شبيب بن البرصاء، شعراء أمويون ص ٢٢٨.

ولم يذهب عمرو بن الأهتم بعيداً عن معنى الشعراء في شأن المستنبح الذي يرسل
صوته مع ريح الليل البارد عسى أن يثير الكلاب العاويات فيجبنه بصوت مثل صوته فيعرف
الطريق إلى حيث يريد ويجد في هزيع الليل الأخير زاداً يعيش منه ورفيقاً يرحب به ويقطع
عنه رهبة الخوف وبعد الشقة فيتعلل بعض ليلة ثم يصبح مسافراً إلى ما يريد من رحلته التي
توصف دائماً بالمشقة والبعد فيقول فيمن هذه حاله (٩٠) :

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ أَجَبْتُهُ
وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشَّتَاءِ طَرُوقُ
يُعَالِجُ عَزِيناً مِنَ اللَّيْلِ بَارِداً
تَلَفْتُ رِيَّاحَ ثَوْبِهِ وَبُرُوقُ
أَصْفَتْ وَلَمْ أَفْحَشْ عَلَيْهِ وَلَمْ أَقْلُ
لِأَحْرِمِهِ إِنَّ الْفَنَاءَ يَضِيْقُ
فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً
فَهَذَا مَبِيتُ صَالِحٍ وَصَدِيقُ
وَصَاحِكْتُهُ مِنْ قَبْلِ عِرْقَانِي أَسْمِهِ
لِيَأْنَسَ بِي إِنَّ الْكَرِيمَ رَفِيقُ
وَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْمَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ
مَقْاصِدَ كُومٍ كَالْمَجَادِلِ رُوقُ
وَكُلُّ كَرِيمٍ يَتَّقِي الدَّمَ بِالْقَرَى
وَلِلْخَيْرِ بَيْنَ الصَّالِحِينَ طَرِيقُ

أبيات جميلة أخذت الاستنباح سبباً حتى تتيح أمام الشاعر فرصة لحديثه عن ضيفه وعن نفسه وقد عرض واقع الحال لكلا الجانبين الضيف والمضيف وشرح الحال الذي عليه أهل الصحراء وشظف العيش الذي يعانيه أكثر سكانها إن لم يكن كل السكان وهي تضيف بعداً جديداً إلى ما تكرر وصفه فيها سبق من لوحات فنية تميز نظمها بسبك مثير لعاطفة المروءة ووصف واقعي للحاجة التي تنال المرء في بعض الظروف فيستجيب تلقائياً مع متطلبات الضرورة ويتفاعل وجدانياً مع الحاجة ويقدر البؤس الذي يجهد السالكين في رحاب الجزيرة الوعرة.

وقد فخر مثل غيره من الشعراء إلا أنه أشار إلى ملمح إنساني في أبياته أعطى قصيدته معنى قلماً عرض له الشعراء الفاعرون وهو تبسطه للمضيف وإن كان غريباً وعبر عن طلاقة وجهه وإن كان لا يعرف الطارق وليس بينهما صداقة. فبشاشة اللقاء مع القرى تملأ نفس الغريب اطمئناناً ورضى حتى يأنس الأنس كله. وقد زعم أنه اتحفه باللحاف الوثير ورفق به كل الرفق حتى طابت نفسه وهذأت بعد عناء وشفقة وخوف ومشقة من ظلمات الليل وترقب للمجهول. تلك بعض صور الحياة التي نلمسها في ثنايا الشعر وطوايا اللغة الشاعرة حتى لكأن الأمر بالنسبة للشاعر سرمدي أبدي لا يذهب بعيداً ولا يتزحزح جانباً وكلما أظلم الطقس وأدْهَم الليل أتت سماحة العربي الجواد ورقة عاطفته وسمو طبعه لتجلو ظلمات اليأس ببريق الأمل فيعود إلى طبعه من الكفاح ويحسن الاستقبال والمعاملة. ويعد ذلك كله تخلصاً من كآبة الحياة ورتابة الواقع ويبعث الأمل في كلمات تحس المروءة في كل مقطع من مقاطع لغته وينطق لسانه بشيء غير قليل للمبادئ الخالدة فيأتي الشعر مشرقاً في قسوة الحياة كإشراق النار التي يذكر الشاعر ذكاءها في البيت الآتي^(٩١):

وَمُسْتَنْبِحٍ بَعْدَ الْهُدُوءِ دَعْوَتُهُ
بِشَقْرَاءٍ مِثْلِ الْفَجْرِ ذَاكَ وَقُودُهَا

(٩١) الحماسة ج ٤ ص ١٦٤٣.

نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ
مِنَ الدُّهْمِ مِبْطَانًا طَوِيلًا رَكُودَهَا

والضارب في متاهات الليل وفجاج الجزيرة تدفعه حاسة الاستشعار إلى أقرب ما
يبحث عنه لكنه لا يجد طريقه إليه فيعوي كما تعوي الذئاب الضاريات عسى أن يسمع صوتاً
يستجيب له (٩٢):

عَوَى جَرَسٌ، وَاللَّيْلُ مُسْتَحْلِسُ النَّدَى
لَمُسْتَنْبِحِ بَيْنَ الرُّوَيْثَاتِ وَالْحَفْرِ
فَقَالَ امْرُؤُ فُوهُ مِنَ الْجُوعِ عَاصِبٌ
أَلَمْ تَسْمَعَا نَبْحاً بِرَابِيَةِ النَّسْرِ
فَشُبَّتْ لَهُ نَارَانِ: نَارٌ بِرَهْوَةٍ
وَنَارٌ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ لَدَى الْقَهْرِ
وَشُبَّتْ لَهُ نَارُ ابْنِ طَمْرِ بَدَا لَهُ
سَنَاهَا وَأَنْى مِنْهُ نَارُ بَنِي طَمْرِ
فَلَا غَرَوْ إِلَّا حِينَ يَضْرِبُ مَوْهِنًا
- لِيُوقِظَ أَهْلَ الْبَيْتِ - سَالِفَةُ الْبَكْرِ

أو يقول الآخر (٩٣):

وَعَاوَى وَاللَّيْلُ مُسْتَحْلِسُ النَّدَى
وَقَدْ ضَجَعَتْ لِلْغُورِ تَالِيَةَ النُّجْمِ

(٩٢) ديوان مزرد بن ضرار الغطفاني ص ٤٩ .

(٩٣) البخلاء ص ٢٣٨ .

وماذا سيلقى الضيف بعد طول الليل وإجهاذ السرى ذلك ما يجيب عنه حاتم الطائي
في أبيات من أجمل ما وصفت به آداب الضيافة العربية إذ يقول^(٩٤) :

قَدْ وَرِيَ لِلضَّيْفِ مَنْصُوبَةٌ وَمَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ أَضْيَافِيَهُ
وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِنَزِيلِ الْقِرَى قَطَعْتُ لَهُ بَعْضَ أَطْرَافِيَهُ
ويدعي أن للكلب عنده يداً يسديها إليه ويحفظها الجواد لهذا الحيوان الأليف وهي أنه
يدل الضيف عليه ويهديه إليه فيقول^(٩٥) :

تَدُلُّ ضَيْفِي عَلَيَّ فِي غَلَسِ اللَّيْلِ
لَيْلٍ إِذَا النَّارُ نَامَ مُوقِدُهَا

ويعد نفسه مشفقاً على الضيف رفيقاً به لا يرضى أن يمنعه منه أحد ولا يريد أن
يعترض سبيله عارض حتى لو كان الكلب الذي درب على الحراسة وحماية الحي في الليل
حين تنام الأعين وتسهر الكلاب للحماية فيقول^(٩٦) :

فَنِعْمَ مَحَلُّ الضَّيْفِ لَوْ تَعْلَمِيْنَهُ
بِلَيْلٍ إِذَا مَا اسْتَبَشَرْتَهُ النَّوَابِحُ

ويزعم أن كلبه تخلق بطبيعة خاصة فصار جباناً لا يهر الغرباء ولا يبعدهم عن ساحته
فتحول حتى طبع الكلب وتبدل تدريبه من الحماية إلى الهدوء والاستئناس بالغريب
والضيف . والكلاب يطلب منها أن تكون شديدة العداوة للغريب تدافعه عن المنزل وتصول

(٩٤) ديوان حاتم الطائي ص ٢٥٤ .

(٩٥) ديوان حاتم الطائي ص ٢٦٥ .

(٩٦) ديوان حاتم الطائي ص ٢٥٠ .

عليه كلما حاول الاقتراب منه . أما كلب الجواد المضياف فليس كذلك لكنه جبان تأتي صفته في الأبيات التالية ^(٩٧) :

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ
وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الضَّعِيفِ عُقُورُهَا
فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْتِي مَوْطَأً
أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
وَلَيْسَ عَلَى نَارِي جَجَابٌ يُكْنِهَا
لِمَسْتَوْبِصٍ لَيْلًا وَلَكِنْ أُنِيرُهَا
ويقول أيضاً ^(٩٨) :

بِأَنِّي لَا يَهْرُ الْكَلْبُ ضَيْفِي
وَلَا يُقْضَى نَجِي الْقَوْمِ دُونِي

هذا نموذج من الشعر الذي جعل النار نبراساً للهداية يراها الأضياف فيفرحون بها أشد الفرح ، ومثلها نباح الكلب الذي لا ينام للحراسة ولجلب الضيف فيفخر الشاعر بأن كلبه جبان وناره موقدة وصدره رحب للضيافة لا يضيق بالقادمين إلى ضوء النار .

(٩٧) ديوان حاتم الطائي ص ٢٤٥ .

(٩٨) ديوان حاتم الطائي ص ٢٨٩ .

كيفية استقبال الضيف

الهيئة التي صور الشعراء فيها استقبال الضيف عند نزوله في الحي ذات وجهين :
الأول : الفخر بإكرام الضيف والاهتمام به وتقديم الطعام إليه وإحلاله محل النفس .
الثاني : الهجاء بتركه أو التهرب عنه ومحاولة الخلاص من حقه فيسلط الشاعر لسانه على من هذه صفاتهم ويعيرهم بهذه الخصال الذميمة وسيأتي من كلا الموضوعين شاهد .
لكن كتب الأدب تضيف إلى القرى صورة من صور حسن الاستقبال للضيف وحسن معاشرته وتقديم المساعدة المعنوية له أثناء نزوله في الحي ، وقد عبروا عن هذه الأحوال بأعمال تدل على التهيئة النفسية للضيف حتى لا يشعر أنه طارئ أو أنه غريب أو غير مرغوب في بقائه واستمراره ، فقد روي عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي أنه إذا نزل به ضيف أسرع عبيده إلى إنزاله وخدموه أحسن خدمة وفعلوا به كل جميل فإذا هم بالرحيل تخلوا عنه ولم يقربه أحد منهم وتجنبوه فإذا أنكر عليهم ذلك ، قالوا : نحن إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعينه على الرحيل^(٩٩) . وقد جعلوا قرى الضيف واجباً وزادوا على ذلك الإكرام له ، قيل للأوزاعي ما كرامة الضيف؟ قال : طلاقة الوجه .

ثم جعلوا خدمة الضيف بالنفس شرفاً لا ياباه أحد منهم مهما كانت مكانته في المجتمع فقالوا : أربع لا يأنف منهن أحد ولا ينبغي لشريف أن يأنف منهن وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته للعالم يتعلم منه ، والسؤال عما لا يعلم ممن هو أعلم منه ، وخدمة الضيف بنفسه إكراماً له^(١٠٠) . وفيما ينسب لعبد الملك بن مروان قوله : أربع لا يستحي من خدمتهم ، السلطان والوالد والضيف والدابة^(١٠١) .

وليست وجبة الطعام التي يقدمها المضيف لضيفه هي كل ما عبرت عنه أدبيات

(٩٩) المستطرف ج ١ ، ص ٣٥٨ .

(١٠٠) الامتاع والمؤانسة ج ٣ ص ٤ .

(١٠١) المقتطف من أزهار الطرف ص ٢١٣ .

الموروث الثقافي الذي وصف نزول الضيف وحالة استقباله وتحدث عنه فخصه بكم كبير من العناية والاهتمام . ولكننا نجد أن جانباً إنسانياً وأخلاقياً كريماً قد أثر عنهم وهو البشر به والبشاشة له عند رؤيته الأولى وكسر حاجز دهشة اللقاء بالترحيب . فالضيف وصف في الشعر بأنه غريب عن الحي غير معروف فيه يأتي فجأة لا تربطه بصاحب المنزل صلة ولا رابطة غير الضيافة فكان من حقه الذي أوجبه الأجواد على أنفسهم وألزموها به بشاشة اللقاء وإشراق الوجه عند رؤيته وإظهار السرور والحفاوة بالطارق حتى يأنس وتهلأ نفسه بقربهم وتطمئن إليهم فيشعر بالأمان ، وهم يعدون تلك الخصال جزءاً من القرى وتعبيراً عن سماحة أخلاقهم وتصديقاً لمروءتهم . فأجادوا في إظهار جانب اللطف ودماثة الخلق وجعلوها من مقومات الضيافة وأدب المضيف فألم بها الشعراء ، وذكروا حسن الاستقبال حتى نزول كزازة الغربة ووحشة الضيف واتسعت دائرة الحديث عن لحظات الرؤية الأولى . وزعموا أن من إتمام القرى ألا يقابلوا الضيف متجهمين ولا عابسين يقول الأخطل (١٠٢) :

وَإِنِّي لَحَلَّالٌ بِي الْحَقُّ أَتَقِي
إِذَا نَزَلَ الْأُضْيَافُ أَنْ أَتَجَهَّأَ

أما حاتم الطائي فيصور حبه للضيف وتعبيره عن السرور بمقدمه ويزعم أن القرى لا يكفي وحده ولو قدموا له كل شيء إنما القرى الحقيقي هو طلاقة وجه الكريم وتعبيره المشرق عند استقبال الضيف وترحيبه به ذلك هو الخصب المعنوي والأدب الأخلاقي الذي يقرره الشاعر ويفخر به في الأبيات التالية (١٠٣) :

أَضَاحِكَ ضَيْفِي قَبْلَ أَنْزَالِ رَحْلِهِ
وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيبُ

(١٠٢) ديان الأخطل ص ٦٠٠ .

(١٠٣) ديوان حاتم الطائي ، ص ٣٠٩ .

وَمَا الْخِصْبُ إِلَّا ضَيْفٌ أَنْ يَكْثُرَ الْقِرَى
وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

ويرد المعنى نفسه عند عدد من الشعراء أو بوجوده الرواة على عدد منهم فيبرزون ملامح البشاشة والترحيب بالضيف والإيثار له واللطف، وأخذه بالرفق وإلهائه حتى لا يشعر بالانعزال أو الغربة وصحبته في الإقامة ومسامرته في الليل ومشاركته فيما يجلب السرور إلى نفسه وهذا عروة بن الورد يقول (١٠٤) :

فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ (١٠٥)
وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أُحْدِثُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى
وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَجْعُ
ويكرر مسكين الدارمي (١٠٦) البيتين أنفسهما، إلا أن بدايتهما:

طامي طعام الضيف والرجل رحله . . .
وله أيضاً (١٠٧) :

وَإِنِّي وَالْأَضْيَافُ فِي بُرْدَةٍ مَعاً
إِذَا مَاتَ نِصْفُ الشَّمْسِ وَالنِّصْفُ يَنْزِعُ
والمعنى إياه يورده الرواة لطيف الغنوي وينسبون إليه البيتين التاليين (١٠٨) :

(١٠٤) ديوان عروة بن الورد ص ٦٥ .

(١٠٥) أعرف من عادات بعض العرب في الوقت الحاضر أنه إذا نزل بالرجل منهم الضيف شاركه طعامه وبقي معه يسامره ويرافقه ولا يترك ملازمته ليلاً أو نهاراً ما دام مقيماً عنده حتى لا يشعر بالملل والوحدة .

(١٠٦) ديوان المسكين الدارمي ص ٥١ .

(١٠٧) ديوان مسكين الدارمي ص ٥١ .

(١٠٨) ديوان طفيل الغنوي ص ١٠٣ .

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتِ بَيْتُهُ
وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أَحَدِيَّتُهُ إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى
وَتَكْلًا عَيْنِي عَيْنُهُ حِينَ يَجْعُ

والأبيات الأخيرة في معنى واحد وعلى بحر واحد وروي واحد وقد نسبت إلى أكثر من شاعر من شعراء العربية كل منهم حاز فضلها وأضيفت إليه، ولا يهم الباحث صحة نسبتها لواحد منهم أو لآخر وإنما المهم معناها الذي توارده الشعراء وأضافه الرواة لهم، والتجاذب العام للأبيات عند النقلة، وكلها تقرر شيئاً واحداً متفقاً على استحسانه عند الناس وهو الحديث والبشاشة وطلاقة الوجه ومسامرة الضيف، وهو القرى الحقيقي في رأيهم. وما تنازع الشعراء فيهن أو الرواة لهن إلا لما يجدون من إشاعة السباحة وقرب التقبل. وكل عربي يحب أن يجد في نفسه ما وصفته الأبيات عندما يستقبل الضيف أو عندما يحل هو ضيفاً على أحد فيحسن الاستقبال ويلقي مثله، وليس هناك ما يمنع أن يكون كل من الشعراء قد عبر عن الخاطرة نفسها لأن هذا الإحساس شعور مشترك يتكلم به الإنسان باللغة التي يستطيع وإن لم تكن لغة الشعر ويدركه في وجدانه فيأتي على لسانه طبعاً لا تكلف فيه، إلا أن التطابق التام بين الأبيات المذكورة تقلل من احتمال توارد الخواطر العفوية ومصادفة توافق الإحساس الشخصي، وتشير إلى خلط الرواة وأخطاء الجماع ويبقى الشاهد عندنا هذه الروح التي تليق بشهامة العرب وسخائهم وحوافز البذل في وجدانهم ولذا تم قبول الشعر وتداول الناس المعنى بغض النظر عن شخصية الشاعر وحقيقة نسبته إلى أي منهم.

علاقة الكرم بظروف البيئة

محور الحديث في كل ما مرَّ هو القرى والضييف والجود له والبراءة من شائبة البخل عليه. إذ يعلن الكريم أنه يجود بماله ويدفعه ولو كان بحاجة إليه ويطلبه الضيف الذي يسعى إلى فضل الأجواد وأهل السخاء فيجد عندهم ما يعينه على مواصلة الرحلة ومشقة الطريق والحديث عن القرى هو العوض المعنوي الذي يزعم الشاعر أن الأجواد يأخذونه مقابل ما يقدم للأضياف كما يظهر الفخر الجامع بالخلق الكريم ويعظم تضحيته ويزعم أنه يقدم للضيف حين يراه حاجته من طعام ولحاف ومسامرة حسنة واستقبال باش.

والسؤال الكبير الذي يجب أن يسأل هو هل يتناسب كل هذا الفخر والمدح مع تقديم وجبة طعام لغريب جائع وطارق مجهود؟ إن الشاعر الذي يملأ الصحائف بالشعر عن كرم الضيافة وعن قيامه بحق الضيف ثم مبالغته بما قدم لا بد أنه يعرف بعداً اجتماعياً ألجأه إلى الحديث عن سخائه وسوغ مبالغته في ذكر الضيافة وما يترتب عليها من تكاليف صعبة وإن كانت في نظر البعيدين عنها هينة صغيرة عند من لا يعرف شدة الحاجة إليها. ولا يمكن أن يتصور تلك الحاجة والشدة من يقرأ الشعر وهو خارج الجزيرة وبعيد عن حياتها وبيئتها. أما من عاش الحياة الصحراوية وعرف قسوتها وأدرك انقطاع سكانها في فجاج واسعة من الأرض لا تجود بالكثير من الخير بل قد لا تجود بشيء في بعض الظروف فإنه هو الذي يقوم صراع الأجواد وفخر الفاخرين. ويدرك أهمية القرى وما يترتب على ذلك من ضرورة تجعل مبالغة العرب مقبولة. فهم يعيشون الكفاف في الصحراء القاحلة وليسوا في بيئات الخصب وضافاف الأنهار. وإذا كان تقديم وجبة طعام لضيف طارق لا تستاهل كل ما يقال عنها في نظر من يقرأ الشعر في غير زمنه وبيئته فستعرض الدراسة بعض الأبيات التي تبين شدة الفقر وتجسم المأساة التي يعيشها الناس وتسوغ الأمر الذي حدا بالعرب إلى أن يمجّدوا من يتميز فضله في القرى واستقبال الضيف فيكبر في نفوسهم ويعظم قدره عندهم ويصبح ممدوحاً

مبجلاً لا ينازعه أحد إلا أن يفعل كفعله حتى يفوقه أو يصير مثله . وهذا حاجز ابن عوف الأزدي يصف شدة الحياة وقلة الخير فيها فيقول^(١٠٩) :

سَلِي عَنِّي إِذَا اغْبَرَّتْ جُمَادَى
وَكَانَ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثَّمَامَا
أَلْسَنَا عِصْمَةَ الْأَضْيَافِ حَتَّى
يُضْحِي مَالُهُمْ نَفْلاً تُؤَامَا
فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيتِ عَنَّا
إِذَا لَمْ تَغْبِقِ الْمِائَةَ الْغُلَامَا

إن ما يصف حاجز في أبياته هنا هو السبب الذي جعل النادر من القوم قادراً على مقاومة اللأواء والشدة، فمائة من الإبل لا تروي الطفل لما أصابها من محل وهزال وضعف والإبل هي عماد حياتهم وقوام معاشهم فكم يحتاج أهل البيت منها ليعيشوا على ألبانها . وحاجز يحدد الظرف الذي يحسن فيه الجود ويختار الشدة المسغبة موضعاً لجوده ومكاناً لفخره . إن أيام الجذب الكادح هي أكثر أيام الجزيرة العربية وقد يلجأ ساكنوها إلى أن يأكلوا الأشجار وخشاش الأرض حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة .

أما عمرو بن أحرر الباهلي فالممدوح عنده هو ذاك السيد الجواد الذي يكون جوده وكرمه في وقت الحاجة واشتداد الأزمة عندما لا يستطيع الرجل أن يعول أولاده فضلاً عن الضيف . في هذا الحال يتميز الجواد ويصبح الكريم ملجأ الضيف لا يصد عنه ولا يحرمه فيقول^(١١٠) :

غَطَارِفُ لَا يَصُدُّ الضَّيْفُ عَنْهُمْ إِذَا مَا طَلَّقَ الْبَرِمُ الْعِيَالَا

(١٠٩) قصائد جاهلية نادرة ص ٨٣ .

(١١٠) ديوان عمرو بن أحرر الباهلي ص ١٣١ .

وشبيب بن البرصاء يقيم صراع الحياة على قسوة الطبيعة وقلة ما تجود به فيظهر التحدي على الرغم من مواجهة الفقر والجوع والخوف منها فيقول^(١١١)

لَقَدْ عَلِمْتُ أُمُّ الصَّبِيِّينِ أَنِّي
إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السَّنَاتِ خُرُوجُ
وَإِنِّي لِأَغْلِي اللَّحْمَ نَيْئًا وَإِنِّي
لِمَنْ يُهِنُ اللَّحْمَ وَهُوَ نَضِيجُ
إِذَا الْمُرْضِعُ الْعَوْجَاءُ بِاللَّيْلِ عَزَّهَا
عَلَى ثَدْيِهَا ذُو وَدَعَتَيْنِ لَهْجُ
إِذَا مَا ابْتَغَى الْأَضْيَافُ مِنْ يَبْذُلِ الْقَرَى
قَرَّتْ لِي مَقَلَاتُ الشَّتَاءِ خَدُوجُ

إن الحي الذي لا تجد فيه الموضع المرملة الطعام لنفسها أو طفلها، ويطرقه الضيف ثم لا يحرم ولا يعتذر له وإنما يقدم الرجل على آخر ما يملك وهي الناقة التي هي عماد حياته فينحرها ليطعم ضيفه والحي معه، ذلك إقدام يستحق الثناء والإشادة بفضلته ويحق له أن يفخر بنفسه وبفعله ويحق لغيره أن يمدحه ويشيد به لتبقى مسالك الجود مطروقة وحياضه مترعة مورودة. وليس العوز هو المثبط الوحيد لعامة الناس عن القرى لكن ليالي الشتاء الباردة وجوها المكفهر عامل تثبط آخر، والمحافظ على مشاريع المروءة يتجاوز المثبطات ويتجاوز مع متطلبات التقاليد والعادات فيقول الأخطل^(١١٢):

فَجَاءَ وَقَدْ بَلَّتْ عَلَيْهِ ثِيَابُهُ
سَحَابَةٌ مُسَوِّدٌ مِنَ اللَّيْلِ أَظْلَمًا

(١١١) الكامل، ج ١، ص ١٩٢، وشعر شبيب بن البرصاء مجموع مع شعراء أمويون ص ٢٢٤.

(١١٢) ديوان الأخطل ص ٥٩٩.

وَفِي لَيْلَةٍ مَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ ضَيْفَهَا
إِذَا نُبِّهَ الْمَبْلُودُ فِيهَا تَغْمَغَمًا

وفي موضوع الحاجة والحديث عنها وعن الإعدام حين لا يجد المرء شيئاً يقري به الضيف ولا يجد الضيف سعة في احتمال الجوع إلى أن تنفجر المأساة، وفي وصف الكربة التي تمر على الإنسان فلا يستطيع القيام بالواجب ولا الاعتذار عن التقصير، فيبهت أمامها. نجد أن الشعر العربي حفظ لنا قصيدتين تشرح كل منهما أبعاد الصورة القائمة والظلمة الخرساء في بعض الظروف التي يكون الخروج من حلقات البؤس فيها معجزة تستحق التسجيل بحروف من نور وسطور من صحائف التاريخ لا يمحوها الزمن ولا تهلولق مع مرور الأيام. وقد أدرك النقاد كل أبعاد الواقع الاجتماعي وشرحوا ظروف المفارقة في البذل والعطاء وقوموا العمل بظروف حدوثه ولم ينقلوه إلى غير موضعه من التاريخ، وعدوا من جاد بشربة ماء أجود أجواد العرب وخلده بذله الشربة ولم يختلف اثنان على عظمة جوده برطل ماء لكنه رطل كان ثمنه الحياة كلها، حياة الجواد الذي قدمها قرباناً للمروءة والكرم والتضحية حتى بقي مع الخالدين. ووجبة الطعام في بعض الظروف وفي بعض الأزمات تساوي الحياة كلها.

أما القصيدتان: .

فأولهما قصيدة الحطيئة المشهورة التي وشحها خيال مبدع، تصور موقف التأزم الإنساني في لحظات حرجة تصل بالمرء حدَّ الاختناق والموت كمدأ ثم تتحرك في النفس الكريمة طبيعة الثبات وجبلة والصمود في معدنه، ويحدث الصراع الطبيعي بين الإذعان للواقع والانتهزام أمام الأزمات الحادة والمواقف الطارئة في حياته وبين المواجهة التي قد تعرض نفسه للخطر وواقعه لضروب من الابتلاء قد ينجح فيها وقد يفشل أمامها. ولأن قصيدة الحطيئة من نسج خياله الذي أبدع فيها كل الإبداع فإن الصراع فيها سينتهي نهاية تتفق مع تصميم العقل العربي على مواجهة أزمة الطبيعة التي يصارعها والانتصار عليها لأنها نتيجة حتمية للتصور والشعور الإرادي ولذلك كانت النهاية عند الحطيئة نهاية سعيدة

محكومة بتصور مثالي للحياة يحقق الانتصار المطلوب على قسوة الطبيعة. فأنهى القصيدة كما يحب أن تكون النهاية السعيدة في العقل العربي^(١١٣) :

وَطَاوِي ثَلَاثٍ عَاصِبِ الْبَطْنِ مُرْمِلِ
بَتَيْهَاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنُ رَسْمًا
أَخِي جَفْوَةً فِيهِ مِنَ الْإِنْسِ وَحُشَّةُ
يَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَّاسِيهِ نَعْمَى
وَأَفْرَدَ فِي شِعْبٍ عَجُوزًا إِزَاءَهَا
ثَلَاثَةً أَشْبَحَ تَحَالُمَ بَهْمًا
حُفَاءَ عُرَاءَ مَا اغْتَدُوا خُبْرَ مَلَّةٍ
وَلَا عَرَفُوا لِبَرٍّ مُذْ خَلَقُوا طَعْمًا
رَأَى شَبَحًا وَسَطَ الظَّلَامِ فَرَاعَهُ
فَلَمَّا رَأَى ضَيْفًا تَسَوَّرَ وَاهْتَمَّا
فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَةٍ
أَيَا أَبَتِ ادْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طَعْمًا
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ عَلَّ الَّذِي طَرَا
يَظُنُّ لَنَا مَالًا فَيُوسِعُنَا دَمًا
فَرَوَى قَلِيلًا ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً
وَأِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَاهُ فَقَدْ هَمَّا
وَقَالَ: هَيَا رَبَّاهُ ضَيْفٌ وَلَا قِرَى
بِحَقِّكَ لَا تُحَرِّمُهُ تَالِئِلَةَ اللَّحْمِ

(١١٣) ديوان الخطيئة ص ٣٣٧.

فَبَيْنَاهُمَا عَنَّتْ عَلَى الْبُعْدِ عَانَةً
قَدْ انْتَظَمَتْ مِنْ خَلْفٍ مِسْحَلَهَا نَظْمًا
عِطَاشًا تُرِيدُ الْمَاءَ فَانْسَابَ نَحْوَهَا
عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دِمِهَا أَظْمًا
فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوْتَ عِطَاشَهَا
فَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمًا
فَخَرَّتْ نُحُوصُ ذَاتُ جَحْشٍ سَمِينَةٍ
قَدْ اكْتَنَزَتْ لَحْمًا وَقَدْ طَبَّقَتْ شَحْمًا
فَيَا بَشْرَهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ قَوْمِهِ
وَيَا بَشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلَمَهَا يَدْمَى
فَبَاتُوا كِرَامًا قَدْ قَضُوا حَقَّ ضَيْفِهِمْ
فَلَمْ يَغْرُمُوا غُرْمًا وَقَدْ غَنِمُوا غَنْمًا
وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَبًا
لِضَيْفِهِمْ وَالْأُمُّ مِنْ بَشْرَهَا أُمًّا

أوردت القصيدة كاملة لبنائها الفني وارتباطها العضوي ولبيان الهاجس النفسي الذي جسده خيال الشاعر وقد أملت العادة الاجتماعية عليه القصة في كل تفاصيلها مع رسم كامل للجو العام الذي جعله مسرحاً لأحداث قصته، وأهمها تصوير عوز هؤلاء البائسين الفقراء الحفاة العراة في فج منقطع من الأرض لا يجدون الطعام لأنفسهم ولم يعرفوا الانس بالبشر ولا التعامل مع الناس، وترك للقارئ التخمين فيما عسى أن يكونوا قد عاشوا عليه من الطعام. ومع كل ما رسم من صور مأسوية في حياة هؤلاء إلا أن الضيف الذي باغتهم في ليلهم الدائم نبه فيهم همًّا آخر وحرك في الأسرة المنكوبة جبلة العربي وخلقه، فالطعام للضيف لا بد منه والقرى لا مندوحة عنه حتى ولو بلغ بهم الأمر بتقديم أحدهم طعاما له

خروجاً من العار إن لم يجدوا غيره حيلة يطعمون بها ضيفهم ، فجاءت القصيدة تحمل التأزم النفسي الحاد الذي حاق بهم برهة من الزمن بلغت حدَّ التمزق . ثم لاحت ملامح الانفراج حين ظهر أمام عينهم قطيع من حمر الوحش تتقدم إلى مورد الماء في غلس الليل فكانت الضحية من هذا القطيع وكان القرى لضيفهم والشعب لأنفسهم .

أما القصيدة الثانية أو القصة الثانية فتأتي على لسان الشاعر الراعي النميري وهي لوحة واضحة التعبير مكتملة الملامح قائمة الأبعاد ، وهي ليست خيالاً يصنعه الشاعر وتشكله عواطف الشعراء كسابقتها ولكنها حقيقة واقعة ومعاناة شخصية يعرف الرواة ظروف حدوثها ومناسبتها فبدأت القصيدة^(١١٤) :

عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحُ قَرَّةٌ
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ وَالرَّحَى
إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقِدَّ أَهْلُهَا
وَقَدْ يُكْرَمُ الْأَضْيَافُ وَالْقِدَّ يُشْتَوَى
فَلَمَّا أَتَوْنَا وَاشْتَكَيْنَا إِلَيْهِمْ
بَكَوْا وَكَلَا الْحَيَيْنِ مِمَّا بِهِ بَكَى
بَكَى مُعَوِّزٌ مِنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقُ
يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا
فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَمِيْنَةٍ
وَوُطْنَتُ نَفْسِي لِلْغَرَامَةِ وَالْقَرَى
فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتِ عَرِيكَةِ
هَجَاناً مِنَ اللَّائِي تَمْتَعْنَ بِالصُّوَى

(١١٤) ديوان الراعي النميري ص ١ .

فَأَوْمَاتُ إِيْمَاءٍ خَفِيًّا لِحَبْرٍ
وَلِلَّهِ عَيْنَا حَبْرٍ أَيْمًا فَتَى
وَقُلْتُ لَهُ أَلِصِقْ بِأَيْبَسٍ سَاقِهَا
فَإِنْ يَجْبُرُ الْعُرْقُوبُ لَا يَرْقَأُ النَّسَا
فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْرٍ أَنْ حَبْتَرًا
مَضَى غَيْرَ مَنْكُودٍ وَمُنْصُلَةٍ أَنْتَضَى
كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَامِهَا
جَلَوْتُ غِطَاءٍ عَنْ فُؤَادِي فَأَنْجَلَى
فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ
لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شَوَاءٌ وَمُضْطَلَى
وَأَصْبَحَ رَاعِيْنَا بُرَيْمَةً عِنْدَنَا
بِسِتَيْنَ أَنْقَتَهَا الْأَجَلَّةُ وَالْخَلَا
فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خَذْهَا ثَنِيَّةً
وَنَابٌ عَلَيْهَا مِثْلَ نَابِكَ فِي الْحَيَا

لقد صور الراعي بؤس الحياة وقسوة الطبيعة ووحشة الصحراء ومبلغ الفقر في بعض الظروف حين يحطم الإنسان ويبعد قدرته فهؤلاء ركب يضربون في مفازات الأرض في ليلة شاتية باردة وقد أضرَّ الجوع بهم وبلغ بهم كل مبلغ فلجأ كل منهم إلى حجر صلد وشده على بطنه لتخفيف ألم الجوع وإسكان اضطراب الأمعاء الخاوية وبينما هم في حالهم تلك لاحت لهم نار تشب في ظلام الليل فاتجهوا إليها مسرعين . ولم تكن تلك النار لإقراء الضيف ولا طهي الطعام وإنما أوقدها حي نفد كل ما يقوتون به أنفسهم ولم يجدوا إلا الجلود اليابسة يشوونها فيأكلونها ليقيموا أودهم . وما أعظم خيبة الركب وما أعظم مصيبة أهل الحي خوف العار والفضيحة إن لم يقرؤ الضيف فيقون أعراضهم الشتم والهجاء ، فبكى الركب من

شدة الجوع ومرارة المسغبة وبكى أهل الحي خوف العار والفضيحة إن لم يخرجوا من أزمته
بمخرج يقيهم الشتم واللوم.

بَكَى مُعَوِّزٌ مَنْ أَنْ يُلَامَ وَطَارِقُ
يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا

ولكي يخرج من مأزق الواقع الذي فرض عليه اختلس النظر إلى ركاب الضيف فرأى
ما ينهض بالحاجة العاجلة فأمر بنحر إحداها لهم على أن يقوم بالعموض مضاعفاً في الوقت
المناسب وماذا عليه عندما يضمن لصاحب الناب كما يقوب ناباً حاضرة وناباً أخرى بعد
حين.

إنها الحاجة التي تأتي بحلولها التلقائية فتضطر الكريم إلى التصرف السريع وماذا عليه
بعد ذلك وإن كان المغرم عظيماً. وقد سلم الراعي من هجاء الضيف ولكنه لم يسلم من
هجاء بني عمه الذين عيروه بعقره ناقة ضيفه. فأفحهمهم وأسكتهم وأمتن عليهم بأنه قرى
أهمهم مع ضيفه. وأخبرهم بالعموض الكبير والتمن الرابع الذي قدمه لصاحب الجزور^(١١٥):

وَمَاذَا ذَكَرْتُمْ مِنْ قُلُوصٍ نَحَرْتُهَا بِسَيْفِي وَضَيْفَانُ الشَّتَاءِ شُهُودُهَا
فَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي وَفَيْتُ لِرَبِّهَا فَرَّاحٌ عَلَى عَنَسٍ بِأُخْرَى يَقُودُهَا
قَرَيْتُ الْكِلَابِيَّ الَّذِي يَبْتَغِي الْقِرَى وَأُمُّكَ إِذْ تُخْدِي إِلَيْنَا قَعُودُهَا
رَفَعْنَا نَاراً تُثَقِّبُ لِلْقِرَى وَلَقَحَّةٌ أَضْيَافٍ طَوِيلاً رَكُودُهَا

إن المتأمل في هاتين القصيدتين يدرك قيمة الفخر الذي أظهره العرب في الكرم
ويعرف ما وراءه وليس أبلغ في وصف حياتهم منها فالوجبة تعادل الحياة وتساوي قناطر
الذهب، وماذا يفعل من لا يجد الطعام حتى لو ملك الدنيا إذا كان لا يتوفر فيها ما يقيم
حياته من أسباب البقاء. فالمال قيمته بسداد الحاجة وإنفاقه بالمعروف ولولا ذلك لاستوى

(١١٥) ديوان الراعي النميري ص ٩١.

حوليات كليفا الاداب

حال الأغنياء والفقراء ولم يوجد سبب للاستمتاع بفضول المال، وجزيرة العرب ليس فيها بخل لكن فيها عوز وفقدان للشيء يجعل أجود الناس في بعض المواقف أشد البخلاء لا بطبعه بل بطبيعة الصحراء التي لا تهبه شيئاً يجود به أو ينفقه فيبقى بخيلاً رغم أنه كما وصفها الصمة القشيري^(١١٦):

لَحَا اللَّهُ نَجْدًا كَيْفَ يَتْرُكُ ذَا النَّدَى
بَخِيلًا وَحُرَّ الْقَوْمِ تَحْسَبُهُ عَبْدًا

إن البخل ليس من طبيعة العرب ولكنه من ضرورات حياة بلادهم وإذا بخلت وقل خيرها واستطاع المرء أن يتغلب على بخلها وشح مواردها حق له الفخر بما فعل وحق لغيره مدحه وذكر مآثره ولولا هاتان الخصلتان لما اقتحم الجواد المتاعب ومشقات الحياة وصعوبات الطبيعة التي لا تقهر في بعض الأحيان إلا بذهاب النفس والمال معاً.

(١١٦) ديوان الصمة القشيري ص ٦٠.

خدمة الضيف

أما الملمح الثاني بعد عملية استقبال الضيف والبشاشة له فهو خدمته بعد وصوله وبعد نزوله في الحلي وقد مرّ في مقدمة البحث من مآثور العرب عن خدمة الضيف شيء يدل على اهتمامهم به وأنها شرف يقوم به كل منهم كائناً من كان . ولا بد أن يكون للشعر رأي في المعنى المآثور عندهم . وللشعراء مواقفهم من الضيف وخدمته والعناية به عندما يحل فيهم ويصبح مقيماً في حيزهم وقد وجدنا الشعراء يعطون هذا الجانب حقه من الاهتمام ويوشحونه بلغة عاطفية جميلة ويرون أن خدمته مبلغ الكرم وأن حبهم له مبعث فخرهم فيقول. هذلول بن كعب العنبري (١١٧):

لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرُ إِنِّي لَخَادِمٌ
لِضَيْفِي وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ
وَإِنِّي لِأَشْرِي الْحَمْدَ أَبْغِي رَبَّاحَهُ
وَأَتْرُكُ قَرْنِي وَهُوَ خَزْيَانُ نَاعِسُ

أما صاحب الأغاني فينسب شعراً إلى سيد تميم قيس بن عاصم وهو من هو في قومه تميم، سيادة ومروءة، وشعراً أيضاً. يفخر بخدمة الضيف ويقول (١١٨):

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ
وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ
أَكْيَلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَحْدِي

(١١٧) الخجاسة ص ٧٠٠.

(١١٨) الأغاني، ج ١٤ ص ٦٨.

أُخَا طَارِقاً أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي
أُخَافُ مَلَامَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مِنْ غَيْرِ ذِلَّةٍ
وَمَا بِي إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْمِ الْعَبْدِ
وعند المقنع الكندي مثله (١١٩):

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا
وَمَا شَيْمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا
وهدي بن الخشرم العذري يصف القيام على أضيافه وحنانه عليهم ولطفه بهم
فيقول (١٢٠):

يُنْفَضُ عَنْ أَضْيَافِهِ مَا يَرَى بِهِمْ
رَحِيمَانِ سَاعٍ بِالطَّعَامِ وَلَا حِفْ
كَأَنَّ لَمْ يَحِذْ بُؤْسًا وَلَا جُوعَ لَيْلَةٍ
وَفِي الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ لِلضَّرِّ كَاشِفُ
ويصف جرير المعنى المطروق للشعراء في خدمة الضيف وإكرامه وتحسس حاجاته
فيقول (١٢١):

كَمْ قَدْ نَزَلْتُ بِكُمْ ضَيْفًا فَتُلْجَفَنِي
فَضْلَ اللَّحَافِ وَنِعْمَ الْفَضْلُ يُلْتَحَفُ

(١١٩) بهجة المجالس ص ٢٩٩ .

(١٢٠) شعر هدي بن الخشرم ص ١٢٣ .

(١٢١) ديوان جرير ص ١٧٤ .

ويقول شبيب بن البرصاء: إن لذة النوم وغشيان النعاس لعينه لا تمنعه من إجابة الضيف والقيام مسرعاً لاستقباله^(١٢٢):

لَقَدْ عَلِمْتُ أُمُّ الصَّبِيِّينِ أَنِّي
إِلَى الضَّيْفِ قَوَّامُ السَّنَاتِ خُرُوجُ

ويجعل الراعي النميري الضيف والبنين الأصاغر عنده في منزلة سواء، يقوم عليهم ويعتني بهم ويشبه عنايته بالضيف بعنايته بأبنائه الصغار فيقول^(١٢٣):

بِجُرْدِ عَلَيْهِنَّ الْأَجَلَةَ سُوِّيتُ بِضَيْفِ الشَّتَاءِ وَالْبَنِينَ الْأَصَاغِرِ

(١٢٢) النوادر ص ١٨٠.

(١٢٣) ديوان الراعي النميري ص ١٣٤.

على من تجب الضيافة

لا بد والبحث يسوق الحديث عن مجمل صورة الضيافة العربية أن نعرج على تعدد حالات الضيافة ومكانها والقائمين عليها، وقد أجمعت النصوص على فردية الضيافة، وقيام رب المنزل بواجب الضيف وحده دون أن يستعين على ذلك بأحد أو يطلب المساعدة في ما يقدم من قرى الأضياف مهما كانت الحاجة إلى عونهم ولم يعرف أو لم نعرف نحن من عاداتهم، القرى الجمعي في الجاهلية إلا في حالة واحدة هي الرفادة وهي مأثرة من مأثر قريش خاصة عرفت فيهم دون غيرهم من أحياء العرب وقبائل الجزيرة، والرفادة كانت في أصلها تقديم الطعام للحجاج أو ضيافة الحاج في الموسم وكانت واجبة على أهل مكة بصفتهم أهل الحرم أو أهل الله كما تقول العرب. ومن الطبيعي أن لا ينهض مال لأحد من قريش بضيافة الحجاج ولن يفي كل قرشي في مكة بواجب الضيافة الخاصة أو الفردية، فألجأتهم الحاجة إلى أن يحتالوا للأمر فاجتمعوا على رأي أكسبهم الشاء والاحترام عند العمار والحجاج ورفع من شأن قريش في نفوس الناس إذ أجمعوا على الرفادة وهي أن يخرج كل رجل منهم مالاً بقدر طاقته فيجمعون المال كله في يد أحدهم فيشتري به للحجاج الجزر والطعام والزبيب والنبيذ فيسقون الناس ويطعمونهم حتى تنقضي أيام الموسم^(١٢٤). وجعلوا من يقوم على الرفادة أشرف بيوت قريش.

ولم يذكر عن العرب ولا في عاداتهم أنهم يقبلون عوضاً عما يقدمون للضيف من ضروب الإكرام والقرى مهما كان المضيف فقيراً، وهم يعدون فعل ذلك منقصة ولؤماً يعير به من يحاول تعويض العربي عما قدم لضيفه من الطعام^(١٢٥). وقد يكون الضيف غنياً والمضيف فقيراً فيتحمل الفقير مؤنة الضيف الغني، وقد روت العرب في بعض قصص الضيافة أن وفداً من وجهاء قريش كانوا في الطريق إلى الشام فاضطروا للتوقف عند عربي لا

(١٢٤) لسان العرب مادة «رفد».

(١٢٥) انظر كتاب الكرماء ص ٢٥.

يملك إلا عنزاً وله زوجة وبنات يقتاتون لبن العنز فقام إليها وذبحها لضيوفه على الرغم من اعتراض زوجته وتهديدها بهلاك بناته إن فعل، فكان رده أن الموت أهون من حرمان الضيف أو البخل عليه، وقد تكون الحاجة والفقر أقوى من حيلة العربي الجواد ولهذا السبب جاء المثل «لم يحرم من فصد له»^(١٢٦) والمثل يتفق مع الأعراف العربية في الضيافة وهو أن الضيف لا بد أن ينال قرى مهما كان قليلاً إذا حلَّ في حي من الأحياء. وعندما لا يجد رب المنزل ما يقدم له البتة في البيت ولا توجد السائمة التي يطعمه لحمها. فإنه يعتمد إلى راحلة الضيف وهو لا يملكها ولا يستطيع ذبحها فيفصد عروقها ويستخرج بعض دمها فيطبخه للضيف تعذيراً بإطعامه وأنه لم يحرم. وقد كان هذا عندهم في الجاهلية حتى حرم الإسلام الفصيد والدم. وقد ينحر ناقة الضيف له فيطعمه لحمها ويعده العوض بعد ذلك كما مضى في النصوص الشعرية. وقد بدأت الصورة المشرقة والمثالية المتناهية تغطي جانباً من الشعر ويقدم الشعراء كما كثيراً من المدائح لأنفسهم وللآخرين على ضوء الدلالة الاجتماعية لقرى الأضياف والقيام بخدمتهم. وهي الوجه الأول الظاهر في الآداب العربية والفخر العربي والمعنى الذي تؤكد المعارف ويعززه الشعر ويرشحه في الأذهان الاتفاق على تقديس الكرم واحترام خصال المروءة.

أما الصورة الأخرى فستوجدنا الضرورة عندهم وتعرف في آدابهم وينظر إليها من زاوية أخرى ضيقة مظلمة متوارية تلك هي صورة الشح والبخل والحرمان للضيف، وهي صورة سوداء كالحلة في نظر العرب وفي وصف الشعراء، ولولا هذه الصورة القائمة لما تميز إشراق الصورة الأولى ولا ظهر بريقها ولما ساغ الفخر الذي تجاوز حدود المعقول. وما دام الحديث في مستهل البعث في مقدمته فسيكفي إيراد المثل من وجه الصورة التي تزعم وجودها على الرغم مما يحاول الشعراء من إخفائه وإبعاده عن دائرة الضوء ومساقط الإشراق فإذا كانت الصورة الأولى هي صورة أريحية الجواد الذي يوقد النار لهداية الضيف وينشط لقراءه فإن الصورة الأخرى تجسم منظر ذاك الذي إذا نزل به ضيف مرة من الزمان ودَّ ألا يراه مرة أخرى في حياته ولا يجب أن يعود إليه قط. وقد اتخذ هذا الصنف وسائل تبعد الضيف

(١٢٦) لسان العرب مادة «عضد».

عنهم وتحول بينهم وبينه فجاء في بعض مأثورهم أن من عادة بعضهم إذا رحل الضيف عنهم وأحبوا ألا يعود إليهم كسروا شيئاً من الأواني^(١٢٧) بعده رجاء أن يقيهم ما كسروا مؤنته مرة أخرى فلا يرونه عندهم ثانية وقد لا تنفع هذه الرقية المشؤومة فيعود الضيف وقد ذهب المتاع الذي كسروه ومن لطيف قولهم في هذا المعنى :

كَسَرْنَا الْقِدْرَ بَعْدَ أَبِي سُوَّاحٍ فَعَادَ وَقِدْرُنَا ذَهَبَتْ ضِيَاعَا
وقال آخر يعير من يفعل ذلك ويعرض به ويزعم أنه أكرم منه^(١٢٨) :

ولان نَكْسَرُ الْكِيزَانَ فِي إِثْرِ ضَيْفِنَا
وَلَكِنَّا نَكْفِيهِ زَاداً لِيَرْجِعَا
ويقول شاهد ثالث^(١٢٩) :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ بَنِي نُفَيْلٍ
لَحَلَّالُونَ بِالشَّرَفِ الْيَفَاعِ
أُنَاسٌ لَيْسَ تَكْسَرُ خَلْفَ ضَيْفٍ
أَوَانِيَهُمْ وَلَا شُعْبُ الْقِصَاعِ

وفيما ظهر من شطحات أمثالهم وما تفلت على ألسنتهم بعض ما يدل على بخل بعض الرجال ولؤمهم ، فجاء المثل المشهور «أبي الحقين العذرة» ومناسبتة فيما ذكر أبو زيد أن رجلاً ضاف قوماً فاستسقاهم لبناً وعندهم لبن قد حقنوه في وطب فاعتلوا عليه واعتذروا . فقال «أبي الحقين العذرة» فذهب كلامه مثلاً^(١٣٠) . وقد يقابل استئصال الضيف عند بعضهم جشع منه

(١٢٧) بلوغ الأرب في معرفة جـ ٢ ص ٣٣١ .

(١٢٨) بلوغ الأرب جـ ٢ ص ٣٣١ .

(١٢٩) بلوغ الأرب جـ ٢ ص ٣٣١ .

(١٣٠) مجمع الأمثال جـ ١ ص ٤٢ .

ومحاولة الاستزادة أكثر مما يستحق وتكليف المضيف وجبة إضافية وزاداً ليوم قادم فكان المثل الآخر «أعن صبح ترقق»^(١٣١) وهو أن رجلاً ضاف حياً من العرب فلما غبقوه قال لهم غداً إذا صبحتموني كيف أخذ بحاجتي فقالوا «أعن صبح ترقق». وقالوا أيضاً «الأم من راضع» وهو مثل مما له علاقة بالضيافة والقرى يعبر عن بخل بعضهم وشحه على الضيف ومحاولة حرمانه، ويقول الفراء: إن مناسبتة: أن الراعي لا يكون معه محلب ولا يمسك قعباً فإذا جاء معتر وسأله القرى اعتل بأن ليس معه محلب وإذا رام هو الشرب رضع.

كل الأمثال السابقة التي تفلتت من ثنايا الحديث واطراد الإنكار للبخل والحث على إكرام الضيف تزيد وجهة النظر وضوحاً ومصداقية وتجعلها قابلة للمناقشة على مبدأ ما جبل عليه الإنسان وركب في طبعه وما يتفق مع غرائز الذات التي جلبت على حب المال وحب الشرف وحب الفخر وكسب المكانة المرموقة في المجتمع وإرضاء الغرور الإنساني بما يلقي من الرضى وما يسمع من الحمد والثناء لكن الثمن عظيم ومقابله واسع والأخذ به أشد من قلع الأضراس وآلم على بعض النفوس من وخز الإبر. وسوف يسوق الشعر أدلة أمام يديه ومن خلفه تهدي إلى معالم الطريق في حياة سكان الجزيرة العربية وترصد خطرات نفوسهم وتصور ملامح حياتهم التي وصفوا فيها نماذج العادات الاجتماعية دون تكلف في مواقف العطاء. على أن كل ما لدى قبائل العرب من عادات لن يسهل تتبعه ولا مطلبه ولا يقوم سبيله في نموذج واحد أو فكرة شائعة، ولكن مع الأناة والنظر الدقيق قد يتشكل وجه مقبول من وجوه الجدل المعقول حول عادة الضيافة وكرامة الضيف. وسنتقي من الشعر ما يجعلنا نمرُّ معه في حركة الوجدان العربي ونفتش في خبايا النفوس ونكشف طوايا المضمرة ونصل إلى مواقع المستكن وما قد يحرك الراكد وينطق الصامت من معاني الحياة ونختار ما أيده الحال ودل عليه المقال. وإذا نطق الشعر وأخذ في الحديث المسترسل والوصف المسهب عن المعارف عندهم فسيجد القارئ أمامه متسعاً للنظر وإمكانية معقولة للتمييز بين الحقيقة والخيال والممكن والمستحيل وذلك ما سوف يترك لتقدير المتابع واستنتاج القارئ لما سيقراً من أبيات الشعراء الفاخرين الذين يزعمون أنهم يؤدون ضرورياً من الكرم لا يكاد يصدقها السامع ويحسمون ضرورياً أخرى من بخل الباخلين تصل إلى عدم التصديق أيضاً.

الفخر

يأخذ الفخر عند العرب حيزاً متميزاً في معارفهم العامة ويصور الواقع ويبالغ في تصويره حتى تصبح المبالغة إحدى الركائز التي يقف عليها الشاعر ويطورها عندما يعرض للقيم الاجتماعية التي يحرصون عليها. وسنحاول تتبع شعرهم الذي يتحرك في وجدانهم ويتكىء على أسس الوعي الجماعي للقيم المطلوب نشرها واتساع دائرة التعامل بها. والضيافة إحدى محاور القيم العظيمة عندهم التي تنتج تجربة شعرية رائعة لا تنفرد في مسارها عن أسس العادات العربية، بل تؤسس الجدل المعقول وتأخذ المتفق عليه في مصادر المعرفة والثقافة المطلوب اتباعها حتى يتضح الواقع الاجتماعي ويذهب في مسارات الأفق ويؤثر في مستقبل الأجيال تأثيراً بعيداً. وقد جاء تكثيف المأثور الأدبي لكي تسرع حركة الحياة وتشكل صورة المعرفة ويحسن التعامل مع أبعديتها فتتسع دائرة الثوابت في الثقافة الأولى التي بلورت منهجاً أخلاقياً متميزاً وأرست دعائم الانطلاق للقيم الاجتماعية المقبولة، وهنا يكون الفخر بالضيافة ضرباً من تحقيق الذات وعملاً لتوسع دائرة الفضائل وتعليم السمو للفرد والجماعة حتى تتم في هذا السبيل عملية النشر لما يود المرء الكريم أن يراه سائداً في مجتمعه. وليست آراء الشاعر مجرد حاجة طارئة للتعبير عن حركة انفعال فردي أو محاولة لتحقيق التميز في معاني القول واستمرار الذكر الحسن الذي يسجله الشعر الأخلاقي والشعر المعرفي، على معنى أن قيمة الشعر الأولى عند العرب أخلاقية كقولهم «إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب»^(١٣٢) أو معرفية كما في مأثورهم «الشعر ديوان العرب». ولكنها أخلاقية في تعبيرها عن الأغراض والسلوك المقبول اجتماعياً، ومعرفية، أيضاً في رصدها للماضي وتسجيلها للحاضر.

والشعر العربي في مراحل تطوره الأولى يقوم على عملية الإيحاء عندما يبدأ الشاعر

(١٣٢) العمدة ص ٢٧.

بالإبداع الذي يسمح بالتكوين الصحيح سلوكياً فيصبح استقطاباً للآخرين . وبعد ذلك يجيء دور التمثل والافتداء لدى المنشدين والمرددین له آخذین دلالات الإعجاب والاندهاش بتلك القدرة الذاتية الفاعلة القادرة على تسجيل الواقع واجترار الإرث الرتيب من الحياة وعليها ثم التقليد لفصائل الأعمال .

أما الفخر وهو ما ينطبق عليه المعنى الشامل للشعر فإن خصوصيته تأتي من عملية الاستبطان الذي يتجه الى الواقع ويأخذ في تشكيل البيئة الاجتماعية من الداخل ويصور ما يود المبدع تحقيقه لنفسه إن لم يستطعه عملاً حاول الظهور باستطاعته قولاً وأقنع الراوي والمنشد بقدرتها على ترشيح النفوس المتلقية لمحاولة الاستطاعة . وأصبح التردد للمفاخر ظاهرة قولية تنكّيء على الشعر الموروث وتفخر بصورة المروءة وهي محكومة بحتمية التجاوب الواعي لمذلولاتها المقدسة في أعراف العرب وإثارة شعور الإعجاب والدهشة لدى الناس لحسن ما يأتي به المبدع من فنون القول الذي يعرضه متبصراً مبخيراً، فيأخذ الجانب الحيوي الإيجابي الذي يريد نشره في مجتمعه ويرفض الجانب الراكد السلبي الذي يجب أن يراه منقرضاً من المجتمع فيثبت وينفي ويعمل بطبيعته وفطرته في رفع مستوى التعامل ويفتح للشعر بلاغة اللغة المؤثرة فتجسد مكارم الأخلاق وتعطي الساحة حظاً وافراً من التقبل عندما يحتاج إلى مواصلة الانطلاق البعيد إلى الغاية المرجو تحقيقها والسبق إليها وقد تجاوز الشعر في عصوره الأولى الوقوف أمام الملاحظات الجزئية الصغيرة التي تعترض طريقه حين كاد الشاعر أن يبلغها أو يتجاهل وجودها إن وجدت لكي يثير تجاوزه أزمة الرتبة والملل من بقاء السير في حركة الحياة والمجتمع الذي يحس أنه راكد بطيء الخطوات لا يترشح إلا في دائرة الانغلاق والتردد، فمال طبع الشاعر إلى المبالغة والتجاوز الواعي حتى ينبه الإحساس العام ويعاد النظر في الجزء المقبول من المبالغة فتحدث لدى المستمع عملية النشاط الذهني المطلوب حتى تظهر حاجة التوفيق بين حقيقة ما يعرف المتلقي وتجاوزات المبالغة البعيدة عن الواقع المعاش الذي يمكن حدوثه وتصوره . وحسب الشعر والشاعر إحداث الصدمة الذهنية الأقوى ثم التحرك بعيداً عن دائرة الاضطراب حتى تثير مفردات اللغة علامة الاستفهام لديه فيحكم في وعيه دلالات المبالغة ويصور قبوله أو رفضه . وبين

حوليات كليفا الاداب

عملية الرفض والقبول يحقق الشعر أغراضه وتتم الاستجابة العاطفية ويحدث موقف وسط بين المبالغة المتخيلة والحقيقة الماثلة أمام الناظرين. ولا شك أن شعر الفخر حظه من الاستجابة الأولى كبير ونصيبه منها وافر، وأن شعر الهجاء والثورة على الواقع المرفوض قبله اجتماعياً، حظه كبير ونصيبه وافر أيضاً. وهناك منطقة وسط يبدأ عندها تباين الحقيقة مع الخيال والمبالغة مع الواقع فلا تنتهي بخط فاصل لكنها تأخذ حيزاً معقولاً ومساحة ممكنة يمتزج فيها الخيال مع الحقيقة ويكون كله في دائرة التداخل وفي حكمها فيقبله العقل في حدود المعارف عليه والمألوف في العادة ثم يبدأ تميز المبالغة وغلبتها وتلاشي الحقيقة واختفائها في صعود منطقي الحركة وفي نقطة الامتزاج والتداخل بين الحقيقة والخيال وبين المعرفة والادعاء تقوم الموازنة المطلوب توفرها.

إن البحث بعد هذه التوطئة سيدلف في وجدان الشعراء العرب والشعر العربي عندما يتحدثون عن أسس حياتهم ومنها الضيافة التي سيأخذ نصيبها من الشعر ومن مبالغات الشعراء حيز البحث كله. محاولاً الابتعاد قليلاً عن نمطية الطبيعة التي أنتجت الشعر ومبقياً معنى الشعر أداة توصيل للعادات السائدة والفهم الحي لمواضع المجتمع. وسيبدأ البحث باستعراض نماذج الشعر وخيارات الشعراء عندما يفرقون في وصف ذاتي لمعاني الجود والكرم وما يواجه الكريم من لوم المشفقين وتذمر الأقربين كما يقول حاتم الطائي^(١٣٣):

وَقَائِلَةٌ أَهْلَكْتَ فِي الْجُودِ مَالَنَا
وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَكَ جُودُهَا
فَقُلْتُ دَعَيْنِي إِنَّمَا تِلْكَ عَادَةٌ
لِكُلِّ كَرِيمٍ عَادَةٌ يَسْتَعِيدُهَا

ويقول^(١٣٤):

فَلُومِيْنِي إِذَا لَمْ أَقْرِ ضَيْفِي وَأَكْرِمِ مُكْرِمِي وَأَهْنِ مُهْنِي

(١٣٣) ديوان حاتم الطائي ص ١٨٧.

(١٣٤) ديوان حاتم الطائي ص ١٦٠.

ومثل ذلك المعنى يرد على لسان ذي الرملة فيقول^(١٣٥):

أَعَاذِلَ غُضِيٍّ مِنْ لِسَانِكَ عَنْ عَذْلِي
فَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى رَشَادِي عَلَى شَكْلِ
فَمَا لَمْ يَوْمًا مِنْ أَخٍ وَهُوَ صَادِقُ
إِخَائِي وَلَا اغْتَلَّتْ عَلَى ضَيْفِهَا إِبْلِي
إِذَا كَانَ فِيهَا الرُّسْلُ لَمْ تَأْتِ دُونَهُ
فَصَالِي وَلَوْ كَانَتْ عَجَافًا وَلَا أَهْلِي
وَإِنْ تَعْتَذِرُ بِالْحُلِّ مِنْ ذِي ضُرُوعِهَا
عَلَى الضَّيْفِ يُجْرَحُ فِي عَرَاقِيهَا نَضْلِي

وعلى الرغم من روح التقبل لعذل المرأة المشفقة عليه وعلى نفسها معه إلا أن مبررات الإنفاق والضيافة أقوى من عوامل التفهم لموقف العاذلة ورحمتها به ورفقها عليه لا سيما إن كان ذلك إرثاً يحیی به مجداً سالفاً ويذكر به آباء كراماً لا يجوز أن يقصر دون مجدهم أو يسيء بفعله وبخله إلى سمعتهم التي مضت مع الأيام كما يقول عبيد بن عبد العزى السلاماني^(١٣٦):

وَعَاذِلِي فَادَيْتُهَا أَنْ تُلُومَنِي
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنِّي لَهَا غَيْرُ مُؤَثِّرِ
عَلَى الْجَارِ وَالْأَضْيَافِ وَالسَّائِلِ الَّذِي
شَكَا مَغْرَمًا أَوْ مَسَّهُ ضَرْ مُعْسِرِ
أَعَاذِلَ إِنَّ الْجُودَ لَا يُنْقِصُ الْغِنَى
وَلَا يَنْدَفِعُ الْإِمْسَاكُ عَنْ مَالٍ مُكْثِرِ

(١٣٥) ديوان ذي الرملة ص ١٥٥ .

(١٣٦) قصائد جاهلية ص ١٣٢ .

أَلَمْ تَسْأَلِي وَالْعِلْمُ يَشْفِي مِنَ الْعَمَى
ذَوِي الْعِلْمِ عَنْ أَبْنَاءِ قَوْمِي فَتُخْبِرِي
سَلَامَانَ إِنَّ الْمَجْدَ فِينَا عِمَارَةٌ
عَلَى الْخُلُقِ الزَّكَاكِ الَّذِي لَمْ يُكَدِّرْ
بَقِيَّةَ تَجْدِ الْأَوَّلِ الْأَوَّلِ الَّذِي
بَنَى مَيْدَعَانَ ثُمَّ لَمْ يَتَغَيَّرْ
أَوْلُتْكَ قَوْمٌ يَأْمَنُ الْجَارَ بَيْنَهُمْ
وَيُشْفِقُ مِنْ صَوْلَاتِهِمْ كُلُّ مُخْفِرٍ
مَرَاثِيْدُ لَلْمَوْلَى مَحَاشِيْدُ لَلْقَرَى
عَلَى الْجَارِ وَالْمُسْتَأْنَسِ الْمَتَنُورِ

وهو أمر مألوف أن يفتعل الشاعر عذل المرأة عامل تثبيط عن الجود والكرم خوفاً عليه من الإملاق وعلى نفسها من العوز الذي يدفع إليه في رأيها تصرف الرجل الجواد ولكن لومها يقابل بالعصيان والإصرار على الإنفاق طلباً للباقي من الذكر الحسن والثناء المستمر كما يقول حاتم الطائي^(١٣٧) :

وَإِنِّي لَا أَلُو بِمَالٍ صَنِيعَةً
فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ

ولا بد والحديث عن النفس والضيافة والجود أن يشفع بخصال الشجاعة وهي الجانب الأقوى المتمم للكمال في ذات المرء الذي يبحث عنه ويوسع دائرته في اطراد متناسق يكمل الجود والكرم بالشجاعة والإقدام فيقول^(١٣٨) :

(١٣٧) ديوان حاتم ص ٢١٣ .

(١٣٨) ديوان حاتم ص ٢٢٣ .

وَإِنِّي لِأَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَأُطْعَنُ قِدْمًا وَالْأَسِنَّةُ تَرْعُفُ

ويجيء الميسر في شتوات الليالي جزءاً من تقاليد المروءة ومذهباً من مذاهب الإنفاق يتعلل به الكريم المضيف عندما لا يجد سبباً لإطعام الناس أو عندما يود أن يظهر جزءاً من تقاليد القبيلة في محفل مشهود يقوم فيه الجمع على أيسار الجزر يتسابقون إلى الحظ الذي يواقي نصيبه وكسبه فلا يكون للنفس أو الأهل ولكنه يذهب إلى فئات من أهل الحاجة يحددهم لبيد العامري ومنهم الضيف^(١٣٩) :

وَجَزُورٌ أَيْسَارٌ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا
أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِحِيرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا
فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالُهُ مُحْضِباً أَهْضَامُهَا
ويقول عن أبيه^(١٤٠) :

وَجَدْتُ أَبِي رَبِيعاً لِيَتَامَى وَلِلْأَضْيَافِ إِذْ حُبَّ الْفَقِيْدُ
وعن نفسه يقول^(١٤١) :

وَمَدْفَعٍ طَرَقَ النَّبُوحَ فَلَمْ يَجِدْ
مَأْوَى وَلَمْ يَكُ لِلْمُضَيَّفِ سَوَامٌ
أَوْيْتُهُ حَتَّى تَكْفَتْ حَامِداً
وَأَهْلٌ بَعْدَ جُمَادَيْنِ حَرَامٌ

(١٣٩) ديوان لبيد العامري ص ٣١٨ .

(١٤٠) ديوان لبيد العامري ص ٤٠ .

(١٤١) ديوان لبيد العامري ص ٢٨٩ .

حوليات كلية الآداب

وحاتم الطائي لا بد أن يعود إليه الحديث مرة بعد أخرى كلما ذكر الكرم والجود والفخر بهما فيقول^(١٤٢) :

وَأَنَا لَنُطْعِمَ أَضْيَافَنَا مِنْ الْكُومِ بِالسَّيْفِ نَعْتَامُهَا
ويقول عبد الله بن رواحة في شعره^(١٤٣) :

وَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ غَيْرَ فَخْرٍ
إِذَا لَمْ تُلَفِ مَائِلَةً رَكُودًا
إِذَا مَا وَاجِبُ الْأَضْيَافِ أُمْسَى
وَكَانَ قِرَاهُمُ غَنًّا فَصِيدًا
بِأَنَا نُخْرِجُ الشُّتَوَاتِ مِنَّا
إِذَا مَا اسْتَحْكَمَتْ حَسْبًا وَجُودًا

ويفعل حسان بن ثابت الشيء نفسه^(١٤٤) ويؤكد فخره بالضيافة واعتداده بنفسه وقومه بالكرم والجود وإحلال الضيف الطارق محلاً من التوقير والاحترام فلا تدفعه الأيدي ولا يبعد عنه الخير ثم يشرك جاره مع ضيفه فيقول^(١٤٥) :

وَأَنَا لَنَقْرِي الضَّيْفَ إِنْ جَاءَ طَارِقًا
مِنَ الشَّحْمِ مَا أَضْحَى صَحِيحًا مُسَلِّمًا

ويقول^(١٤٦) :

وَلَا ضَيْفُنَا عِنْدَ الْقَرَى بِمُدْفَعٍ وَلَا جَارُنَا بِالنَّائِبَاتِ بِمُسْلَمٍ

(١٤٢) ديوان حاتم الطائي ص ١٧٧ .

(١٤٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١١٨ .

(١٤٤) ديوان حسان ص ٤٢٧ .

(١٤٥) ديوان حسان ص ٤٢٧ .

(١٤٦) ديوان حسان ص ٤٥١ .

ويأخذ عامر بن الطفيل المعنى المشترك للشعراء والمهيع المطروق فيقول (١٤٧) :

إِذَا سَنَةٌ عَزَّتْ وَطَالَ طَوَاهَا
وَأَقْحَطَ عَنْهَا الْقَطَرُ وَأَصْفَرَّ عُودُهَا
وُجِدْنَا كِرَامًا لَا يُحَوَّلُ ضَيْفُنَا
إِذَا جَفَّ فَوْقَ الْمُنْزَلَاتِ جَلِيدُهَا

ويقول (١٤٨) :

إِنَّا لَنَعَجَلُ بِالْعَيْطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ الْعِيَالِ وَنَطْلُبُ الْأَوْتَارَا

ويذكر ابن مقبل الضيافة وحق الضيف ويدعي أنه يقري ضيفه أطايب الجزر ويختار له السنام كناية عن اجتازيه للضعيفة من الإبل والهزيلة فيقول (١٤٩) :

وَنُطْعِمُ الضَّيْفَ مَعْبُوطَ السَّنَامِ إِذَا
أَلَوْتُ رِيَّاحُ الشَّتَاءِ الْهُوجُ بِالْخَطَرِ

وفي موقف آخر يقول (١٥٠) :

فِي دَارِ حَيٍّ يُهَيِّنُونَ اللَّحَامَ وَهُمْ
لِلْجَارِ وَالضَّيْفِ يَغْشَاهُمْ مَكَارِيمُ

وفي المساق الاجتماعي نفسه يجعل أسامة بن جندل الضيف الغريب باعث فخر واعتزاز فيحييه ويسعد به ويزعم أن جارههم مثل ضيفهم منعم عليه مخوف بالفضل لا

(١٤٧) ديوان عامر بن الطفيل ص ٤٦ .

(١٤٨) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٨ .

(١٤٩) ديوان ابن مقبل ص ٩٠ .

(١٥٠) ديوان ابن مقبل ص ٢٧٥ .

حوليات كلية الآداب

يخلون عليه ولا يستقلون بقاءه ونزوله بينهم فيقول (١٥١) :

قَدْ يَسْعَدُ الْجَارُ وَالضَّيْفُ الْغَرِيبُ بِنَا
وَالسَّائِلُونَ وَنُغْلِي مَيْسَرَ النَّيْبِ

ويرى سراقه البارقي أن إبله مقسمة بين حاجة ابن عمه وقرى ضيفه فيقول (١٥٢) :

وَأَقْرِضُهَا ابْنَ عَمِّي إِنْ أَتَانِي
وَأَقْرِي الضَّيْفَ أَعْظَمَهَا سَنَامًا

ثم يتكرر في كل شعر فاخر ذكر الناقة الميسر والناقة الجزور والسنام المعبوط والبرك الهواجد والضيف الذي يطرق فيفرح به الكريم الجواد وتذعر الإبل حتى شاعت هذه المفردات في لغة الشعر الذي يصف كرم المضيف وجوده فيغالي في مدحه ويحترمه ويدأب على احترامه ويذيع بين الناس فضائله ويبعد به في بعض الأوقات عن الواقع حتى أصبحت مفردات المدح بالضيافة جملاً جاهزة للاستعمال ذات مضامين مفهومة ومقبولة لدى المجتمع على أن ذلك يحدث كلما فخر الشعراء بجودهم وبأنفسهم أو جود قبائلهم ومن يستحقون المدح من الآخرين . حتى تراءى للمتتبع لأشعارهم أن كل ضيف مهما كان شأنه يستحق أن تنحله الجزر وتقام له المآدب، ويشبع الحي كله من أجله وأن القرى تعميم للجود وبيان لفضل الجواد مهما كان الطارق فرداً أو جماعة . يقول المثقب العبدى (١٥٣) :

فَلَمَّا أَتَانِي وَالسَّمَاءُ تَبْلُهُ فَلَقَيْتُهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَقُمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ بِكُومَاءٍ لَمْ يَذْهَبْ بِهَا النَّيُّ مَذْهَبًا
فَرَحَّبْتُ أَعْلَى الْجَنْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ دَعَتْ مُسْتَكِنَ الْجَوْفِ حَتَّى تَصَبَّبَا

(١٥١) ديوان سلامة بن جندل ص ٢٢٧ .

(١٥٢) ديوان سراقه البارقي ص ٩٨ .

(١٥٣) ديوان المثقب العبدى ص ٢٧ .

تَسَامِي بَنَاتُ الْغَلِي فِي حَجَرَاتِهَا تَسَامِي عَتَاقِ الْخَيْلِ وَرَدًّا وَأَشْهَبَا

إن الضيف في الشعر باعث على مراد يتوجه إليه الشاعر بكل حواسه ويستنفد فيه كل شعره وهو الإطعام وإقراء الضيف الذي يجعله سبباً في إشراك الحي كله من أجل هذه المناسبة فينتظرون الضيف ليكون تعلقة للكريم الذي إذا رأى الضيف قام فرحاً به مسروراً بقدومه لإكرامه وليجد السبب في إطعام الحي الجياع . ولعل هذا هو غرض الربط الوثيق بين الجار والضيف في وصف الجود فأصبح ذكر القرى أمراً مشتركاً بينهما كما يقول عنتره^(١٥٤) :

وَإِنِّي لِأَحْمِي الْجَارَ مِنْ كُلِّ ذِلَّةٍ
وَأَفْرَحُ بِالضَّيْفِ الْمُقِيمِ وَأُبْهِجُ
ويقول في مناسبة أخرى^(١٥٥) :

كَفَى حَاجَةَ الْأَضْيَافِ حَتَّى يُرِيحَهَا
عَلَى الْحَيِّ مِنَّا كُلُّ أَرْوَغٍ مَاجِدٍ

إن محمل المبالغة في ذكرى الضيافة وإكرام الضيف والحديث عنها يقع في نفوس الذين يقرؤون الشعر وهم خارج ظروف الجزيرة القاسية وطبيعتها المكفهرة، أما من يعرف بيئة الجزيرة ويعرف قسوة الحياة فيها فإن المبالغة عنده ستضعف حتى تختفي، حين يتمثل الدارس للشعر العربي والناظر في شعر الضيافة خاصة بيئة الجزيرة العربية وأعراف أهلها وتقاليدهم ونوع الحياة التي يعيشونها في الجاهلية وبعد الإسلام وقد استمروا عليها حتى العصر الحاضر أي قبل خمسين عاماً، وبقيت الحياة التي تصفها القصائد الجاهلية والشعر العربي القديم حية ماثلة يعيشها أهل الجزيرة ويمارسون الشكل الذي تنطبق عليه أدبيات

(١٥٤) ديوان عنتره ص ٣٧ .

(١٥٥) ديوان عنتره ص ٥٠ .

والبيت منسوب للمثقب العبدى في ملحق ديوانه ص ٥٦ .

حوليات كلفة الاداب

الشعر الجاهلي . وعادات العرب التي وصلت إلينا في العصر الحاضر شاهد حي على صدق ما نجده في شعرهم القديم: وقد أدركت في طفولتي ما وصفه الشعر القديم معمولاً به ومطبقاً كما وصفته الخنساء في مراثي أخيها:

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

وهو ما قد يظن أنه من المجاز في القول ومن خيال الشعراء ومبالغاتهم إلا أنني شهدت المرأة في العصر الحاضر تنهر نهراً شديداً إذا حاولت إبعاد الرماد عن موقد النار المعد للضيافة وتؤمر أن تزيده ليرتفع عالياً وترشه بالماء حتى لا تطير به الريح . إن الجانب البارز في لغة الشعر هو الجود والقرى على الرغم من اتخاذ نمطية لفظية لا تعطي اتساعاً لغزيلة العادات الاجتماعية المتعلقة بآداب الضيافة ولا تمكن الشاعر أن يأتي بمفارقات بعيدة عما يكون قد سبق إليه لسان شاعر آخر في المعنى المقصود نفسه، وفي ظل هذه النمطية لا يجد القارئ الذي يتتبع قاموس الشعراء مفارقات كثيرة بين شاعر وآخر، فالضيف والقرى ونحر الجزر والسرور بمقدمه وإطعام الحي معه وإشعال النار لهديته هي المفردات المشتركة عند الذين تناولوا هذا الجانب، ولكن تقارب الكلمات وتطابق معناها لا يجعلنا نتجاوز الرتبة اللغوية إلا في إطار اختلاف الدلالة في موقف من مواقف الضيافة وإنجاز المضيف الذاتي عندما يخاطب السامعين وهو ينشد مقطعاً شعرياً يصور فيه خصوصيته، وهو يحل ذلك من نفسه محل الواقعة الفردية فيخرج بعض المخرج من سور النمط اللفظي المتفق عليه كما يتجاوز الشاعر المشترك فيجعل إكرام الضيف جزءاً من الاهتمام الدائم في خلده ويوصي به من بعده كما يقول الأعشى (١٥٦):

الضَّيْفُ، أَوْصِيكُمْ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ
حَقًّا عَلَيَّ فَأَعْطِيهِ وَأَعْتَرِفْ

(١٥٦) ديوان الأعشى ص ٣٥٩.

أُوْزِيدَ مَعْنَى لَهُ دَلَالَةٌ خَاصَّةٌ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْمُنْخَلِ (١٥٧) :

فَلَا وَاللَّهِ نَادَى الْحَيُّ ضَيْفِي هُدُوءًا بِالسَّاءَةِ وَالْعِلَاطِ

وعند عروة لغة قريبة الشبه بهذه لها دلالة متميزة عندما يعتمد إلى وصف الضيافة وشعوره نحو الضيف ويدافع عن مذهبه في الحياة فلا يحس السامع أن ذاك يحمل شيئاً من التكلف والمبالغة ولا يشعر بالمفارقة بين ما يقول الشاعر وما يمكن أن يفعل . ولغة عروة الشعرية في الضيافة تعطي طعماً خاصاً في مذهب الجود والسباحة وعليها مسحة عبارات تشف عن روح وثابة إلى تأصيل عادة العرب ومنهجهم في المدح يقول في ذلك (١٥٨) :

يُرِيحُ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَضْيَافَ مَا جِدَ
كَرِيمٍ وَمَالِي سَارِحاً مَالٌ مُقْتَرِ

أُوْيقُولُ (١٥٩) :

سَلِي الطَّارِقَ الْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكِ
إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِي وَتَجْزَرِي
أَيْسَفِرُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى
وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي

إن هذه اللغة تشف عن صدق وحب للوجود وتقرب حتى تلتحم مع واقع الكريم الجواد «أيسفر وجهي إنه أول القرى» ويعقب على هذا السؤال ببذل المعروف ورد المنكر فيتم العرف الاجتماعي في كرامة الضيف .

(١٥٧) ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢١ .

(١٥٨) ديوان عروة ص ٤٦ .

(١٥٩) ديوان عروة ص ٥٧ .

ولا يتوعر مسكين الدارمي كثيراً عندما ينعى نفسه إلى أضيافه ويدرج شخصه فقيداً للضيف القادم في غياطل الظلماء ويرد الشتاء فلا يجده حتى يجد الكرم والفضل الذي جاء يطلب عنده، لكن الشاعر يكرر معنى عروة بالجمع بين القرى وبشاشة اللقاء فيقول (١٦٠).

إِذَا مُتْ فَانْعَيْنِي لِأَضْيَافِ شَقَّةٍ
رَمَى بِهِمْ دَاجٍ بِهِمْ الْغَيَاطِلُ
وَلَسْتُ بِوَقَافٍ إِذَا الْخَيْلُ أَسْرَعَتْ
وَلَسْتُ بِعَبَّاسٍ إِلَى الضَّيْفِ بَاسِلِ
وَلَكِنَّهُ يَلْقَاهُ مِنِّي نَحِيَّةً
وَيَأْتِيهِ قَبْلَ الْعُذْرِ بَذْلِي وَنَائِلِي
وَيَلْقَاهُمْ وَجْهِي طَلِيقاً وَعَاجِلاً
قِرَائِي وَمِنْ خَيْرِ الْقَرَى كُلِّ عَاجِلِ
وفي المعنى نفسه يقول جرير (١٦١):

إِذَا مُتْ فَانْعَيْنِي لِأَضْيَافِ لَيْلَةٍ
تَنْزَلُ مِنْ صُلْبِ السَّمَاءِ جَلِيدُهَا
ويحمد الأعشى قرى الضيف ورحابة المنزل فيقول (١٦٢):

وَيَوْمَ جَمَامٍ قَدْ نَزَلَنَاهُ نَزْلَةً
فَنِعْمَ مُنَاخُ الضَّيْفِ وَالتَّحَوُّلُ
وحسان بن ثابت يأخذ المنحى الذي سلكه الشعراء ومجدوا به أقوامهم فيقول (١٦٣):

(١٦٠) ديوان مسكين الدارمي ص ٥٨ .

(١٦١) ديوان جرير ص ١٢٤ .

(١٦٢) ديوان الأعشى ص ٤٠٥ .

(١٦٣) ديوان حسان ص ٣٤٦ .

وَإِكْرَامَنَا أَضْيَافَنَا وَوَفَاءَنَا
بِمَا كَانَ مِنْ إِلٍ عَلَيْنَا وَمُوثِقِي

وخطرات الشعراء تدور في هذه الأبيات على تمجيد الذات ومدح النفس والأخذ بالفخر ومحاولة إقناع المستمع بحقيقة ما يقول الشاعر وتصديقه، وإذا التفت الشاعر إلى الآخرين وابتعد عن خصوصياته قليلاً تطورت نظرتة ونمت لغة الخطاب عنده ورقى إلى مثل عليها وأخذ في مذهب الثناء على الأجواد وأهل الفضل وزاد في حق الذين يجمعون إلى سباحة البذل رحابة الصدر. وأقرب ما يصلح للاستشهاد قول الخطيئة^(١٦٤) :

أُولَئِكَ آبَاءُ الْغَرِيبِ وَغَنَاءُ
الصُّرَيْخِ وَمَأْوَى الْمُرْمِلِينَ الدَّرَادِقِ
وعند أوس بن حجر^(١٦٥) :

مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمُ لِلْقَرَى
إِذَا أَصْفَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْقَرَسِ

ولا يأخذ الشعر العربي بعداً نفسياً أكثر من ذلك ولكنه يحدد الخطرات السريعة والرد المباشر لعامل اللحظة أو التمثل للموقف الذي لا يلبث أن يتحول أو يتغير. ولعلي بن محمد العلوي بعض اللمحات المتميزة في وصف الضيف ومباغتته في الليل المظلم واندفاع الرجل الجواد إليه قبل أن يتحقق شخصه فينهض ليهتبل قدومه ويجعله سبباً في نحر الجزر والإطعام والفخر بذلك فيقول^(١٦٦) :

وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ مُتَسَرِّبِلٍ أَثْوَابَ تَحْلِ مُقْفِرٍ

(١٦٤) ديوان الخطيئة ص ٣٣١.

(١٦٥) ديوان أوس بن حجر ص ٥٢.

(١٦٦) الرسالة الموضحة ص ٣٧.

حوليات كلية الآداب

أَوْمًا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ نَحَرْتَنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنَحِّرِي

والليل هو جالب الضيف وملجئه إلى المنزل الرحب والكريم المضياف، ولذا نجد الليل في الشعر يأخذ اهتماماً خاصاً، فالضيف الذي وصف العلوي هو شخص متسربل بالفقر يراه الكريم فلا يكاد يتحقق شخصه في الظلام حتى يهتز للندى ويقوم للقرى. وعبيد بن الأبرص يمدح من يخلط المعسر بالموسر ويفرح بالضيف الطارق الذي يجلبه الليل إليهم فينهض في خدمته وقراه فيقول في ممدوحه^(١٦٧) :

الْخَالِطُو مُعْسِرًا مِنْهُمْ بِمُؤْسِرِهِمْ
وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَطْرُوقًا إِذَا اخْتَبَطُوا

ويصف عامر بن الطفيل اهتزاز الكريم للجود وأريحته فيقول :

فَقَامَ أَبُو الْجَبَّارِ يَهْتَزُّ لِلْنَّدَى
كَمَا اهْتَزَّ عَضْبُ الشَّفَرَتَيْنِ حُسَامُ

والخطيئة له حق أن يدعي لنفسه ما يدعيه العرب ويقول مثلما يقول الشعراء وإن كان ذلك غير مسلم به في حال الخطيئة لكنه قادر أن يقول ما يشاء ويمدح نفسه مثل الشعراء فقال^(١٦٨) :

أَرُدُّ الْمَخَاضَ الْبُزْلَ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ إِلَى الْحَيِّ حَتَّى يُوسِعَ الْمُتَضَيِّفُ
ويقول في سياق آخر يمدح نفسه أيضاً بقرى الضيف^(١٦٩) :

عَطَاءُ إِلَهِي إِذْ بَخِلْتُمْ بِمَالِكُمْ مَهَارِيسُ تَرَعَى عَازِبَ الْقَفَرَاتِ

(١٦٧) ديوان عبيد بن الأبرص ص ٨٦.

(١٦٨) ديوان الخطيئة ص ٢٥٥.

(١٦٩) ديوان الخطيئة ص ١١٤.

مَهَارِيسُ يُرَوِّي رَسْلَهَا ضَيْفَ أَهْلِهَا إِذَا النَّارُ أَبْذَتْ أَوْجُهُ الْخَفِرَاتِ

لن يقف التأمل عند النظر إلى الشعر الذي دار حول الذات وتوشح بخيلاء الفخر والادعاء وذكر النفس بما تود أن تذكر به من فضائل الأعمال، وحسب الأمر أن يمس الظاهرة الاجتماعية والمسلّمات المتفق عليها عند العرب ثم يدفع في مدارج الحديث إلى موضوعات أخرى قريبة الصلة ووثيقة السبب في الفخر والإشادة بما يواجه أهل الصحراء من مشقة الحياة ومحاولة التجاوز الممكن للظرف القاسي ومقابلة الشدة بالإقدام عليها وتوطين النفس لها حتى تتغلب الإرادة الصارمة على تلك القسوة ويخرج المرء مصقولاً بكرامة التحدي والصمود أمام العواصف العاتية حتى لا تقتلعه من جذور الوجود الذاتي وهو يتجاوز التعثر الذي تضعه الطبيعة المتوحشة في سبيل السالكين. إن الشعور الذي يصور الجواد المضيق ويعطيه أبعاداً إنسانية راقية ويضفي عليه هالة من التبجيل هو شعور باعثة نشوة انتصاره على العقبات الكأداء التي تلقى الحياة في طريقه فتحاول صده عن تسنم قمم المجد الاجتماعي. وإذا تغلب على الظروف التي يعرف أن الكثيرين وقفوا وراءها عاجزين عن قدرة التجاوز كان تغلبه حافزاً ليفخر بنفسه أو يمدح غيره ممن استطاع التجاوز. وهو سواء كان شاعراً يفخر بنفسه أو يمدح غيره يعرض بالذين لم يستطيعوا ما استطاع تحقيقه في جهاده وصبره وإصراره في محاولة تذليل الواقع. وذكره لنفسه أو مدحه للآخرين يحمل ضمناً التشجيع والافتداء من جانب، ومن جانب آخر يحمل التعريض بالذم أو شبه الذم لغيره من الذين خضعوا للعوائق الطبيعية القاسية وتعاملوا معها تعامل الاستسلام والتخاذل والانكسار. وما أكثر هؤلاء وما أعظم سوادهم في كل مجتمع إنساني وجد على الأرض وعصفت به ملهات الحياة تنازعت عوامل التحدي، وبين هذين العاملين تمت المفارقة وقام الاستثناء الذي يتحدث عنه شعر الفخر من جانب واحد هو جانب الحياة المعاشة، وتتغلب نوازع الطبيعة في طرفي عامل المعادلة المتمكنة من حياة الإنسان المتفاعل وجدانه معها تفاعلاً فوقياً في حالات الشعور الذي يغلب فيه مبدأ الاقتحام وعدم المهادنة أو الانحناء للأزمات.

والعرب في عصورهم الأولى تغلب على حياتهم المواجهة، فجعلهم واقعهم يسرفون

حوليات كلية الآداب

في الفخر في مواجهة الأحداث بكل قوة الحياة وبكل إرادة التجاوز للظروف القاسية التي تعيشها المجموعات البشرية المتنقلة في فجاج الصحراء . وحسبها أن لا تظهر الذلة والهوان أو الضعة التي لا تقرُّ بها حتى في وقت الانكسار الحاد والانزمام الذي لا بد منه في بعض المواقف .

المدح بإكرام الضيف

المدح بالكرم وبالجود هو الصفحة المفتوحة التي ينشر الشاعر فيها مفاخر نفسه ومآثر قومه فيرصد القيم المحببة في المجتمع ويعرضها في شعره معتدلاً بها مبالغاً بحظه منها . وقرى الضيف قيمة اجتماعية عظيمة بالغ الشعراء فيها وحرصوا على أن يسجلوا محامد الأجواد كلما وجدوا مجالاً للشعر وسبباً للمدح . وانقسم الشعر المادح إلى نوعين شعر يمدح الشاعر به نفسه وقومه ويقرر ما يقوم به من عمل في كل مناسبة فيبرز فخره ويسرع في نشر رصيده الذي يريد له الذبوع وفي هذا الجانب تأخذ المبالغة نصيبها كاملاً وتطغى الصفة الذاتية على حقيقة الواقع .

أما النوع الثاني فهو مدح الشاعر للآخرين بفضيلهم واعترافه بجميلهم وهو - أي الشعر - يعد شاهد حق للممدوح فيصبح الشاعر منساقاً بذكر فضائل الجواد الذي بذل ماله وأنفق ثروته في سبل السخاء وطرق المعروف فيصير المدح له والثناء عليه عملاً عاطفياً متجاوباً مع شعور العرب برد الجميل على أهل المعروف فيندفعون إلى ضرب آخر من المبالغة في مدح الكرماء عندما لا يستطيعون جزاءهم إلا بالشعر، فيزجون الثناء لهم كلما عنت المناسبة للمدح وكلما جاء ذكر الجود والسخاء . ولعل أصدق من وصف الإحساس بجميل المعروف وقيمته وحمد المنعم بنعمته هو الخطيئة في بيته المشهور (١٧٠) :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقد تجذر في وجدان العرب الوفاء والحديث عنه وذكر أصحاب المعروف به، وكبر في نفوسهم فضل أهل الفضل وأحجموا في بعض الظروف حتى عن الإقدام على هجاء

حوليات كلية الآداب

الأجواد وخافوا حوبة هجائهم إن سبقت في شعرهم سابقة لا يرضونها^(١٧١). وغلب على طبعهم الشعور بواجب الشكر فأشادوا بالذين يرون فيهم حبا لمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال. يقول الأعشى في بعض ممدوحيه^(١٧٢) :

تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ مِنْ الْجُودِ فِي مَالِهِ أَحْتَكِمُ
ويقول أيضاً^(١٧٣) :

حَجَرُوا عَلَى أَضْيَافِهِمْ وَشَوُّوا لَهُمْ مِنْ شَطِّ مُنْقِيَّةٍ وَمِنْ أَكْبَادِ
وفي موقف ثالث يذكر حالا أخرى غير السابقتين فيشير إلى كرم الأجواد ولطفهم بضييفهم واعتنائهم به وتقديم أطيب الطعام له فيقول^(١٧٤) :

الْمُطْعِمُ اللَّحْمَ إِذَا مَا شَتَّوْا وَالْجَاعِلُ الْقُوْتَ عَلَى الْيَاسِرِ
أما كثير عزة وهو قليل المدح للضيافة لما شغله عنها من مذهبه الغزلي المشهور فإن صديقه الذي يستحق مدحه وينال إعجابه مضياف كثير الرواد لخير الواسع ومعروفه الشاسع، وله ذكر بالقرى وبالهبات والندى فيقول فيه^(١٧٥) :

وَأَنْتَ أَبَوْضَيْفَيْنِ: ضَيْفٌ نَفَحَتْهُ بِنَفْحَةِ عُرْفٍ عَاجِلٍ فَهَوَزَائِلُ
وَأَخَرُ يَرْجُو مِنْكَ مَا نَالَ قَبْلَهُ أَحْوَهُ الَّذِي جَهَّزَتْهُ فَهَوَنَازِلُ

(١٧١) هجاء زهير بن أبي سلمى أهل بيت من بني عليم بن جناب وكان بلغه عنهم شيء كرهه من وراء وراء. فقال ما خرجت في ليلة ظلماء إلا خشيت أن يصبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم. «الديوان ص ٥٦».

(١٧٢) ديوان الأعشى ص ٨٥.

(١٧٣) ديوان الأعشى ص ١٨٣.

(١٧٤) ديوان الأعشى ص ١٩٥.

(١٧٥) ديوان كثير عزة ص ٢٩٥.

ويجعله أبا للأضياف رحيماً بهم عطوفاً عليهم فيقول فيه ^(١٧٦) :

وَأَنْتَ أَبُو الْأَضْيَافِ يَعْشَوْنَ نَارَهُ وَمَلَقَى رَحَالَ الْعَيْسِ وَهَوَّلُغُوبُ
وعنده أيضاً ^(١٧٧) :

لَنِعْمَ ذَوُو الْأَضْيَافِ يَعْشَوْنَ بَابَهُ إِذَا هَبَّ أَرْيَاحُ الشَّتَاءِ الصَّوَارِدُ
والحاجة عندهم تبعث ذكر الكريم وتبين جسامته فقده وكلما طرق الطارق الحي
وجاءت الأضياف تطلب القرى ذكرت حسناته وشروعه في حقوق الضيف وحرصه على
إكرام الغريب والرفق عليه فيقول الشاعر فيه ^(١٧٨) :

وَأَضْيَافُنَا إِنْ نَبَّهُونَا ذَكَرْتُهُ
فَكَيْفَ إِذْ أَنْسَاهُ غَابِرَةَ الدَّهْرِ
فَتَى كَانَ يَقْرِي الشَّحْمَ فِي لَيْلَةِ الصَّبَا
عَلَى حِينَ لَا يُعْطَى الدُّثُورُ وَلَا يَقْرِي
إِذَا سَلَّمَ السَّارِي تَهَلَّلَ وَجْهُهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ يَسَارٍ وَمِنْ عُسْرٍ
إِذَا سُئِلْنَا لَمْ نَسْعَ فِيهَا بِمِرْفَدٍ
قَرَى الضَّيْفَ مِنْهَا بِالْمَهْنَدِ ذِي الْأَثَرِ

ويبدأ القطامي وصفاً للكريم الجواد فيثني عليه ويحمده ويكرر ما تجاذبته لغة المادحين
فيه من وصف لا ينقطع لنحره الجزر ونصبه القدور الراسيات لإطعام الضيف وإكرام منزله
فيقول فيمن يمدح من العرب ^(١٧٩) :

(١٧٦) ديوان كثير عزة ص ١٦٦ .

(١٧٧) ديوان كثير عزة ص ٣٢١ .

(١٧٨) الحماسة ج ٢ ص ٧٠٥ .

(١٧٩) ديوان القطامي ص ١٥٥ .

طَوَالَ الذُّرَى لَا يَلْعَنُ الضَّيْفُ أَهْلَهَا
إِذَا هُوَ أَرْغَى وَسَطَهَا بَعْدَمَا يَسْرِي
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا حَلُوبٌ تَكْشَفَتْ
عَنِ السَّيْفِ مَضْقُولاً وَأَبْيَضَ كَالْبَدْرِ
وَيَكْفِيكَ أَلَّا يَرْحَلَ الضَّيْفُ لَأَيْماً
كَرَادِيْسَ مِنْ نَابٍ تَغَامَسُ فِي قَدْرِ

والضيف والكلاب والقرى مفردات منشورة في شعر المادحين والممدوح غيث وربيعة
وحياً وأهل للضيف، وكلبه لا يهر ولا يستنكر الطارق الغريب وهو أليف لا يؤذي، والإبل
والجزر ترتاع لمقدم الضيف لما يحصل لها من نحر واستهانة بالمال من أجله كما يقول
الأخطل (١٨٠):

أَخَالِدُ أَيَّاكُمْ يَرَى الضَّيْفُ أَهْلَهُ إِذَا هَرَّتِ الضُّيْفَانُ كُلُّ ضُجُورٍ
ويمدح آخر فيقول فيه (١٨١):

رَبِيعٌ لِهَلَاكِ الْحِجَازِ إِذَا ارْتَمَتْ رِيَّاحُ الثُّرَيَّا مِنْ صَبَأٍ وَجَنُوبٍ
وَطَارَتْ بِأَكْنَافِ الْبُيُوتِ وَحَارَدَتْ عَنِ الضَّيْفِ وَالْجِيرَانِ كُلُّ جَلُوبٍ
كَرِيمٌ مُنَاخِرِ الضَّيْفِ لَا عَاتِمَ الْقَرَى وَلَا عِنْدَ أَطْرَافِ الْقَنَا بَهِيُوبٍ
وفي مدح بني عبس يكون رأيه موافقاً لإجماع العرب على خصلة الكرم وحق الضيف
فيقول فيهم (١٨٢):

(١٨٠) ديوان الأخطل ص ٦٤ .

(١٨١) ديوان الأخطل ص ٢٦٣ .

(١٨٢) ديوان الأخطل ص ٢٧٥ .

بَنُو عَبْسٍ فَوَارِسُ كُلِّ يَوْمٍ تَكَادُ الْهَامُ خَشْيَتَهُ تَطِيرُ
وُفَاةٌ تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُمْ مَنَازِلُ مَا يَحُلُّ بِهَا الضَّرِيرُ

ولهذه بن الخشرم أبيات في المعنى الذي يتعاوره الشعر ويغرق فيه الشعراء فيقول في
فخره ومدحه (١٨٣) :

وَأَسْرَعَ فِي الْمَقَرَى فِي دَعْوَةِ النَّدَى إِذَا رَائِدُ اللَّقُومِ رَادَ فَأَجْدَبَا
وَأَقُولُنَا لِلضَّيْفِ يَنْزِلُ طَارِقاً إِذَا كُرِيَ الْأَضْيَافُ أَهْلاً وَمَرْحَبَا

أما أمية بن أبي الصلت فممدوحه ينالون حظهم في توسع دائرة الحديث عنهم
ووصف فضائل أعمالهم وقدرهم المنصوبة ذات العمق والفخامة يردّها الجائعون جماعة تأتي
وأخرى صادرة (١٨٤) :

الْمُطْعِمِينَ الشَّحْمَ فَوْقَ الْخُبْزِ شَحْماً كَالْأَنَافِخِ
نَقَلَ الْجِفَانَ مَعَ الْجِفَا نِ إِلَى الْجِفَانِ كَالْمَنَاضِحِ
لَيْسَتْ بِأَصْغَارٍ لِمَنْ يَعْفُو وَلَا رَحْ رَحَارِخِ
لِلضَّيْفِ ثَمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ دَ الضَّيْفِ وَالْبُسْطِ السَّلَاطِخِ

ويقول في وصف آخر لآنية الطبخ وقدر المستضاف (١٨٥) :

وَقُدُورُهُ بِفِنَائِهِ لِلضَّيْفِ مُتْرَعَةٌ رَوَاجِرُ

فوصف آنية الطعام وقدر الكريم صارت حديثاً وموضوعاً للشعراء وتفخيم القدور

(١٨٣) شعر هذبة ص ٦٤ .

(١٨٤) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٧٠ .

(١٨٥) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٠٥ .

وسعتها يد على لازم ذلك وهو الكثرة والجود مثلما تكون كثرة الرماد كناية عن كرم الضيافة
فيقول حاتم الطائي^(١٨٦) :

إِذَا اسْتَنْزِلَتْ كَانَتْ هَذَايَا وَطَعْمَةً وَلَمْ تُخْتَزَنْ دُونَ الْعُيُونِ النَّوَظِرِ
ويقول النابغة الذبياني المعنى ذاته وهو وصف آنية الطعام^(١٨٧) :

لَهُ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ سَوْدَاءٌ فَخْمَةٌ تُلَقَّمُ أَوْصَالُ الْجَزُورِ الْعُرَاعِرِ
بِقِيَّةِ قَدْرٍ مِنْ قُدُورٍ تُورَثُ لِأَلِ الْجِلَاحِ كَابِرًا بَعْدَ كَابِرِ
تَظَلُّ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَدِيمَهَا كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدُ مِيَاهَ قَرَاقِرِ
وفي شعر آخر يورد صاحب الحماسة قول الشاعر^(١٨٨) :

نَصَبْنَا لَهُ جَوْفَاءَ ذَاتَ ضَبَابَةٍ مِنْ الدُّهْمِ مِبْطَانًا طَوِيلًا رَكُودَهَا
ويصف ليبد العامري القدور بقوله^(١٨٩) :

وَإِذَا شَتُّوا عَادَتْ عَلَى جِرَانِهِمْ رُجِحَ تَوَفِّيَهَا مَرَابِعُ كَوْمِ
لَا يَجْتَوِيهَا ضَيْفُهُمْ وَفَقِيرُهُمْ وَمُدْفَعُ طَرَقِ النَّبُوحِ يَتِيمِ
وله^(١٩٠) :

تَكْرُرُ أَحَالِيْبُ اللَّدِيدِ عَلَيْهِمْ وَتَوَفِّي جِفَانُ الضَّيْفِ مُحْضًا مَعَمًّا

(١٨٦) ديوان الحاتم الطائي ص ١٩٩ .

(١٨٧) الحماسة ص ١٧٠١ .

(١٨٨) الحماسة ص ١٦٤٣ .

(١٨٩) الديوان ص ١٣٦ .

(١٩٠) الديوان ص ٢٨٤ .

ويأتي لبيد بن ربيعة العامري بصورة غير باهتة اللون ولا كثيبة المنظر عندما يتناول الضيافة وينظر في مسارب الجود فتصير كلماته مشرقة الديباجة في لغة تعبر عن بيان مملوء بالتوهج الذي تبعته ساحة النفس المجبولة على حب مكارم الأخلاق، ويصبح نصيب الضيف والثناء على من يكرمه موضوعاً طيعاً للشعر سلسلاً مقبلاً سمحاً منقاداً لا يتلعنم ولا يستكن فيقول^(١٩١) :

وَلَا وَأَبْيُكَ مَا حَيُّ كَحَيِّ جَارٍ حَلَّ فِيهِمْ أَوْ عَدِيمٍ
وَلَا لِلضَّيْفِ إِنْ طَرَقَتْ بَلِيلُ بِأَفْنَانِ الْعِضَاءِ وَبِالْهَشِيمِ

ويقول أيضاً يذكر قيمة الإنسان بما يقدم للأضياف من أسباب الجود وما يفعل من كريم الخلق^(١٩٢) :

فَتَى عَارِفٌ لِلْحَقِّ لَا يُنْكِرُ الْقِرَى
تَرَى رَفْدَهُ لِلضَّيْفِ مَلَأَنَ مُتْرَعاً

وإذا ذهب أبو خراش الهذلي مذهب المادحين بالضيافة وصفهم بأنهم لا يتعللون ببرد الشتاء القارص لا تمنعهم عن إكرام الضيف عواصف الطبيعة مهما اشتدت فيقول فيهم^(١٩٣) :

فَنِعْمَ مُعَرَّسُ الْأَضْيَافِ تَنَحَّى رِحَالُهُمْ شَامِيَةً بَلِيلُ
وكذلك عند أبي ذؤيب تبدأ رحلة الشتاء بالعلامات القائمة للدلالة عليه وعلى منزله فيصفه بأنه ظاهر لا يخفى مكانه على أحد يحتاج القرى فيقول^(١٩٤) :

يُقَرَّبُهُ لِلْمُسْتَضْيِفِ إِذَا أَقَى جِرَاءَ وَشَدَّ كَالْحَرِيقِ ضَرِيحَ

(١٩١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٠٣ .

(١٩٢) ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٤١ .

(١٩٣) ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٤١ .

(١٩٤) ديوان الهذليين ج ١ ص ٦٢ .

ويقول أيضاً^(١٩٥) :

الْفَيْتَةُ لَا يَذُمُ الضَّيْفُ جَفْنَتَهُ وَالْجَارُ ذُو الْبَثِّ مَحْبُوءٌ وَمَمْنُوحٌ

ويصف ممدوحه بكثرة المعروف وبذله^(١٩٦) :

مَطَاعِيمٌ لِضَيْفِ حِينَ الشَّتَاءِ قُبُ الْبُطُونِ كَثِيرُو الْفَجَرِ

إن المشترك عند الشعراء الذين أخذنا نماذج من شعرهم مهما قل هو اهتمامهم بأنفسهم أو بقومهم إلا أن أحداً منهم لا يترك نصيبه لآخر، ولا يرى أن غيره أولى منه بتوسيع دائرة الأجواد الذين يصفهم ويثني عليهم ولا يتردد كثيراً في تطويع المعنى لمدحه، فيقول النابغة الذبياني : إن جار ممدوحه وضيْفهم في منزلة سواء لا يضيع ولا يهمل^(١٩٧) .

مَتَى تَلَقَّوْهُمْ لَا تَلَقْ لِبَيْتِ عَوْرَةٍ

وَلَا الضَّيْفُ مَمْنُوعاً وَلَا الْجَارُ ضَائِعاً

وممدوحو ذي الرمة كغيرهم من الممدوحين عند الشعراء كافة يطعمون الطعام وينحرون الجزر ويشبع في ناديم الطارق والجار والغريب والضيف فيقول^(١٩٨) :

إِذَا حُلَّ عَنْهُمْ الرَّحَالُ وَالْقَيْتُ طَنَافِسُ عَنْ عَوَجِ قَلِيلٍ نَحِيضُهَا
فَنِعْمَ أَبَوِ الْأَضْيَافِ يَنْتَجِعُونَهُ وَمَوْضِعُ أَنْقَاضٍ أَنِّي نُهْضُهَا

ويقول في آخرين^(١٩٩) :

(١٩٥) ديوان الهذليين ج ١ ص ١٠٩ .

(١٩٦) ديوان الهذليين ج ١ ص ١٥٠ الفجر: المعروف .

(١٩٧) النابغة الذبياني ص ١٦٤ .

(١٩٨) ديوان ذي الرمة ج ٢ ص ٧١٣ .

(١٩٩) ديوان ذي الرمة ج ٢ ص ١٣٢٣ .

تَكْبُونُ لِأَضْيَافٍ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ مَحَالًا وَتَرَعِيْبًا مِنَ الْعُيُطِ وَارِيَا
إِذَا أُمْسَتْ الشُّعْرَى الْعَبُورُ كَأَنَّهَا مَهَاةٌ عَلَتْ مِنْ رَمْلِ يَبْرِينَ رَايَا
فَمَا مَرَّتْ جِرَانِ إِلَّا جَفَانُكُمْ تَبَارَوْنَ أَنْتُمْ وَالشَّمَالُ تَبَارِيَا

ولا يتكرر معنى في شيء كما يتكرر معنى الجود في الشعر كله وعند الشعراء جميعهم ولا يكاد أحد منهم يغفل الحديث عن الضيافة والجود ولا يمله، فتأتي الخصال الكريمة موفورة في لغة لا تبتذل ولا تستنكر مهما طال النظر فيها. يقول السفاح بن بكير بن معدان اليربوعي بمدح في المعنى إياه (٢٠٠):

وَالْمَالِ الشَّيْزِي لِأَضْيَافِهِ كَأَنَّهَا أَعْضَادُ حَوْضٍ بِقَاعٍ
لَا يُخْرُجُ الْأَضْيَافُ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا هُمْ مِنْهُ رِوَاءُ شِبَاعٍ
ويقول مُعَيَّةُ بن الحمام في رزء الكريم وفقد الجواد (٢٠١):

نَعَيْتَ حَيَا الْأَضْيَافِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ وَمِذْرَهُ حَرْبٍ إِذْ تُخَافُ الزَّلَازِلُ
وَمَنْ لَا يُنَادِي بِالْهَضِيمَةِ جَارُهُ إِذَا أَسْلَمَ الْجَارُ الْأَلْفُ الْمَوَاطِلُ
فَمَنْ وَمَنْ نَسْتَدْفِعُ الضِّيمَ بَعْدَهُ وَقَدْ صُمِمَتْ فِينَا خُطُوبُ النَّوَازِلُ

والشاعر الذي يصف الممدوح هذه الصفات ويغرق في مدحه يعرف أنه يقدم ثواباً مرجوياً على معروف سالف ويحس قيمة مدحه للممدوح ويرى أنه يفعل بما يسمع من الثناء ويزيد في البذل والإنفاق ويفخر على غيره. وإذا نعى الشاعر الميت الذي انقطعت أسبابه من الحياة كان الوفاء له والتخليد لذكره هو الدافع الصادق وراء مدحه وحسن الثناء عليه كما يقول الأبيرد الرياحي في رثاء أخيه (٢٠٢):

(٢٠٠) الفضليات ص ٣٢٣.

(٢٠١) الأمالي ج ١ ص ٦٢.

(٢٠٢) ذيل الأمالي ص ٣.

إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ وَهِيَ حُذِبَ ظُهُورُهَا
عَجَافاً وَلَمْ يُسْمَعْ لِفَحْلٍ لَهَا هَدْرُ
كَثِيرٍ رَمَادِ النَّارِ يُغْشَى فِئَاؤُهُ
إِذَا نُودِيَ الْأَيْسَارُ وَاحْتَضِرَ الْجُزُرُ
فَتَى كَانَ يُغْلِي اللَّحْمَ نَيْئاً وَلَحْمُهُ
رَخِيصٌ بِكَفِّهِ إِذَا تَنَزَّلَ الْقَدْرُ
يُقَسِّمُهُ حَتَّى يَشِيعَ وَلَمْ يَكُنْ
كَآخِرٍ يُضْجِي مِنْ غَيْبَتِهِ ذُخْرُ
فَتَى الْحَيِّ وَالْأَضْيَافِ إِنْ رَوَّحْتَهُمْ
بَلِيلُ وَزَادَ الْقَوْمَ إِنْ أَرْمَلَ السَّفَرُ
إِذَا جَهَدَ الْقَوْمُ الْمَطْيَى وَأُذْرَجَتْ
مِنَ الضُّمْرِ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقَبَ الضُّفْرُ
وَحَفَّتْ بَقَايَا زَادِهِمْ وَتَوَاكَلُوا
وَأَكْسَفَ بَالُ الْقَوْمِ مَجْهُولَةُ قَفْرِ
سَلَكْتَ سَبِيلَ الْعَالَمِينَ فَمَا لَهُمْ
وَرَاءَ الَّذِي لَأَقِيتَ مَعْدَى وَلَا قُصْرُ
وَأَبْلَيْتَ خَيْراً فِي الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا
ثَوَابُكَ عِنْدِي الْيَوْمَ أَنْ يَنْطِقَ الشَّعْرُ

إن الشعر هو الثواب الذي يقدمه الشاعر لمن يفعل الخير هو ثواب جزل وعطاء سخي
دائم المدد لا ينقطع ولا يموت ولا يفنى كما قال عمر بن الخطاب لأبناء هرم بن سنان حين سأل

بعض ولد هرم^(٢٠٣): أنشدني بعض مدح زهير أباك فأنشده فقال عمر: إن كان ليحسن فيكم القول، قال ونحن إن كنا لنحسن له العطاء. فقال عمر: قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم. وفي سؤال آخر وجهه عمر لابن زهير قال: ما فعلت الحلل التي كساها هرم أباك؟ قال: أبلاها الدهر يا أمير المؤمنين، قال: لكن الحلل التي كساها أبوك هرمًا لم يبلها الدهر.

وقد صدق عمر رضي الله عنه فحلل زهير قد عاشت حتى يومنا هذا يرفل بها هرم بن سنان بين الناطقين بالشعر وكأنه لم يذق طعم الموت وذهبت حلل هرم التي كساها زهيراً. ولقد كسا الشعراء في كل عصور الأدب وحقب التاريخ رجالاً من العرب حللاً لم يبلها الدهر ولهذا كان الحديث الذي لا ينتهي عن الشعر وقيمه وعن الشاعر ووظيفته في الناس منذ القدم حتى يومنا هذا فهو اللسان الذي يخلد الأجواد وهو الكنز الذي يحرص العلية والسادة وأهل الفضل على شرائه بما لهم كما تقول الخنساء في بعض شعرها^(٢٠٤):

نَعِيفٌ وَنَعْرِفُ حَقَّ الْقِرَى وَنَتَّخِذُ الْحَمْدَ ذُخْرًا وَكَنْزًا
وتقول^(٢٠٥):

وَأَبْكِي أَخَاكَ لِإِيْتَامٍ وَأَرْمَلَةٍ وَأَبْكِي أَخَاكَ لِحَقِّ الضَّيْفِ وَالْجَارِ
وتقول^(٢٠٦):

وَلِلْيَتَامَى وَلِلْأَضْيَافِ إِنْ طَرَفُوا أَبْيَاتِنَا لِفِعَالٍ مِنْكَ مَحْبُورٌ
والخنساء في كل رثائها الحار لأخيها كانت دائمة الإلحاح على قيمة الضيافة والإسراع إلى قري الأضياف. وتأكيد أهمية العرف الاجتماعي الذي ينزل في نفوس الناس منزلة

(٢٠٣) العمدة، ج ١، ص ٨١، ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠.

(٢٠٤) ديوان الخنساء ص ٨٧.

(٢٠٥) ديوان الخنساء ص ٨٢.

(٢٠٦) ديوان الخنساء ص ٦٩.

القداسة فيكون ترديده متفقاً مع السائد المألوف كما جاء عندها في أبيات أخرى عندما تلح على فقده لا لما ينالها ولا لما تختلج به عواطفها ولكن للأضياف:

فَمَنْ لِقَرِي الْأَضْيَافِ بَعْدَكَ إِنْ هُوَ
قَبَالَكَ حَلُّوا ثُمَّ نَادُوا فَاسْمَعُوا
وقولها^(٢٠٧):

وَمَنْزِلُ الضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ مُجْلِجَةٌ تَرْمِي بِصُمِّ سَرِيْعِ الْخَسْفِ رَسَافٍ
وقولها^(٢٠٨):

فَمَنْ لِلضَّيْفِ إِنْ هَبَّتْ شَمَالٌ مُزْعِزَةٌ تُجَاوِيهَا صَبَاهَا
هُنَالِكَ لَوْنَزَلَتْ بِآلِ صَخْرِ قَرَى الْأَضْيَافِ شَحْماً مِنْ ذُرَاهَا
ويمثل فقده في شعرها مأتماً حزيناً دائماً ليس لذاتها ولا لعاطفتها التي تنقد في هيب الرزء الكبير ولكنها تجعل ثكله عاماً شاملاً غير خاص بها ولا بأهله وقمه وإنما ينال الآخرين منه نصيب فتقول^(٢٠٩):

فَمَنْ يَضْمَنُ الْمَعْرُوفَ فِي صُلْبِ مَالِهِ
ضَمَانِكَ أَوْ يَقْرِي الضُّيُوفَ كَمَا تَقْرِي
وتقول^(٢١٠):

نَعَمْ الْفَتَى كَانَ لِلْأَضْيَافِ إِذْ نَزَلُوا
وَسَائِلِ حَلِّ بَعْدَ النَّوْمِ مَحْرُوبِ

(٢٠٧) ديوان الخنساء ص ٩٨.

(٢٠٨) ديوان الخنساء ص ١٤٢.

(٢٠٩) ديوان الخنساء ص ١٤٢.

(٢١٠) ديوان الخنساء ص ٥٥.

وتقول (٢١١):

مِنْ لَضِيفٍ يَحِلُّ بِالْحَيِّ عَانٍ بَعْدَ صَخْرٍ إِذَا دَعَاهُ صَبَاحاً
وأيضاً (٢١٢):

وَلِلْأَضْيَافِ إِنْ طَرَقُوا هُدُوءاً وَلِلْكَلِّ الْمَكْلُ وَكُلُّ سَفَرٍ

وقد عظم الشعراء موت الرجل الجواد أبرزوا مكانه في المجتمع وأظهروا حاجة الطارقين إليه، وجعلوا قيامه بواجب الضيافة واهتمامه بتقاليدها الاجتماعية أعظم مناقبه وخير ما يذكر عنه. وليست الخنساء في الأبيات الماضية هي الشاعرة الوحيدة التي أظهرت الجزع الشديد وعظمتته في شخص أخوها وإلا لعدّ من الثناء على النفس والحديث بفضائل الذات والأهل والعشيرة ولكننا نجد مثلها لدى الخنساء عن أخوها عند شعراء آخرين شعروا بفقد قوم ليسوا ذوي رحم ولا قرابة فأكدوا الجلل الذي تركه الوفاة لينكشف ويقوى ويزعم الشاعر أن الهالك لا يهلك عن نفسه ولكنه يهلك عن مدارج الأخلاق وسبل المعروف التي كان يعمرها في حياته ولن يعمرها بعده إلا القليل. فجيرير يقول فيمن يريد رثاءه (٢١٣):

إِذَا الْأَمْرُ نَابَ الْحَيِّ لَمْ يَقْضَ دُونَهُ
وَإِنْ طَرَقَ الْأَضْيَافُ لَيْلاً تَبَسَّماً

ويذكر أبو قيس صيفي بن الأسلت الشيء نفسه عمن تأخذه الحرب من الأجواد فيقول (٢١٤):

(٢١١) ديوان الخنساء ص ٢٧.

(٢١٢) ديوان الخنساء ص ٤٧.

(٢١٣) ديوان جيرير ص ٥٠٤.

(٢١٤) ديوان قيس بن صيفي بن الأسلت ص ٦٧.

كَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوِّدٍ طَوِيلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبٍ
عَظِيمٍ رَمَادِ الْقَدْرِ يَحْمَدُ أَمْرَهُ وَذِي شَيْمَةٍ تَحْضُ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ

وحاتم الطائي لا تغريه شهرته بالكرم وطول باعه في الضيافة التي طارت في الآفاق واشتهرت على كل لسان عن إدراك قيمة جود الجواد بعد فقدته وتأبينه وتجسيد خسارته على أهل الحاجة والضيء والأرملة والفقير المدقع الذي يحتاج القوت فيقول في ملحان^(٢١٥):

لَيْبِكَ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٍ مُدْفَعٍ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ أَرْمَلًا

ولن ينتهي الشعر العربي أو يقف عند جانب من الثناء ولكنه سيستمر في الحديث ويفتق أوجه المفارقات التي تستجد مع الحياة ومع الناس ومع الزمن السرمدي فلا تنتهي في جيل ولا تقف عند حد. ويجد المرء في لغة هؤلاء المادحين - لأنفسهم أو للآخرين - التعبير الصادق عن التأثير الذي يعكسه المرء في نفس الشاعر فيتفاعل معه بطبيعة سمحة تصدق عليه ولا تستقل عنه وتسرع على لسانه فلا تشعر بالتردد والاضطراب الذي قد تجده في ممارسات أخرى. يقول جبران العود^(٢١٦):

فَتَى الْحَيِّ وَالْأَضْيَافِ إِنَّ نَزَلُوا بِهِ
حَذُورِ الضُّحَى تَلْعَابَةً مُتَغَطِرُفٍ

تلك أمثلة من لغة الشعر الذي يتناول الفخر والمدح وهو أقل ما يمكن أن ينهض به هذا البحث فالمراد هو السياحة الذهنية مع خيال الشعراء الفاخرين المادحين بكرم الأخلاق وإنفاق المال في سبيل الحمد، وهو تصوير لما يختلج في وجدان العرب من هذه المعاني فيرسومون الصورة المثالية لما يجب أن يكون عليه المرء الجواد وما يستحق عليه المدح فلا يتزحزح عنه بعيداً. لقد جالت العرب جولات كثيرة وصالت مع الأيام في مدارج الحياة التي سادت في

(٢١٥) ديوان حاتم الطائي ص ٢٨٢.

(٢١٦) ديوان جبران العود ص ٢٣.

الجزيرة العربية، وكلما اشتد الفقر واحتاج الناس إلى أريحية الكريم وطلبوا ما عند الأجواد هبت فئة منهم في البذل والإنفاق مهب الريح فامتدت إليها الأيدي تنال معروفها وتستهل الألسن بذكر أخلاقها وتمجد أفعالها فيحسب الأجواد ذلك عوضاً يهون في سبيله المال ويحسن من أجله البذل ويليق الإنفاق فيه فتأخذ مقابل المال المبذول بقاء الذكر وحسن الأحدث في الخالدين، وإكرام العرب لهم وتقدير أعمالهم، وقد يكون لإقراء الضيف والاشتهار به ما يمنع الآخرين من إيذائهم أو العدوان عليهم، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في غزو بني مدلج ورُعَب في المغنم والمال^(٢١٧): هل لك في بيض النساء وأدم الإبل؟ قال: ومنهم؟ قيل: بنو مدلج. قال: يمنعني من ذاك قراهم الضيف وصلتهم الرحم. وحسب العرب الذين يبذلون المال في القرى ويصلون الرحم أن يكون لهم شافع عند رسول الله لما يعلم من فضائل هذه الأعمال واحتساب العرب لذكرها وأجرها، وقد زاد التعلق بالمحامد وجميل الأخلاق وما يجده الكريم الجواد من احترام في نفوس الناس وما يحلونه من مكانة عالية في قمة الهرم الاجتماعي الباسق، فيعوض ماله ذكره الحسن وجهه عند من يعرفه ويقدر فضله وينال من إحسانه وذاك هو الجزاء العاجل في الدنيا وفي الآخرة له مثله وخير منه.

(٢١٧) البخلاء ص ١٦٢.

هجاء البخل على الضيف

بعد استعراض مسهب لرأي الشعراء العرب في الضيافة ومكانة الضيف عندهم وما يدعون من إكرامه فإنه لا بد من النظر إلى رأي الآخرين فيما يزعم العرب أنهم يمتقون ويبتعدون عنه وهو البخل على الضيف حتى يكاد المتتبع لشعرهم أن يفهم أنه لا يوجد فيهم بخيل وأن الضيف النازل فيهم يحتكم في أموالهم كيف شاء، وأن الأيدي تتلقفه قبل نزوله والألسن ترحب به والقلوب تخفق بحبه. وأظهر الشعر الفاجر بالضيافة والشعراء المادحون بها أن حرمان الضيف مستحيل وأن جفائه لا يمكن أن يحدث أحد نفسه به. ولأن الشعر هو الشهادة الثابتة فيما يستعرض هذا البحث وهو الحجة الناطقة على ما تزعم العرب فعله، فقد كان الأمر يتطلب استنطاق الشعر وقراءة حججه لنرى ما لدى الطرف الآخر من رأي حول الضيافة ومسلّمات التمسك بآدابها. ومثلما أسعفنا الشعر بصورة جلية وضاحية عن الأجواد الفاخرين بالكرم والجود والممدوحين فيهما فقد أسعفنا الشعر بعدد من الأبيات التي تحكي الجانب الآخر عن العرب وعن تجاوزهم مع تقاليد الضيافة وتحقيق ما يدل عليه المعنى الضمني للمدح الذي نسمعه إذ من الضرورة أن يكون عدد من الناس لا يستهان بكثرتهم بخلاء على الضيف لا ينشطون لإقراءه ولا يهتمون به ذلك الاهتمام الذي يدّعيه الفريق الأول. ولو كان العرب كلهم أجواداً مطاعين للضيف منفقي الأموال في سبيل قراه لما أصبح هناك معنى لتمييز الكريم فيهم على سواه ولا جاز مدحه بما يفعله أهله وقومه إذ هم جميعاً يشتركون بصفات الكرم ولا فضل لأحد فيهم على غيره إذا تساوت الصفات.

أما الواقع فهو أن العدد القليل هم الذين يستطيعون تجاوز معوقات الحياة ويصلون إلى مراحل متقدمة من الإيثار ويشتبهون في مجتمعاتهم بين العرب عامة بالجود بينها تكون الكثرة من الناس بخلاء يحاولون التمسك بأداء أقل الواجبات نحو الأعراف والتقاليد الاجتماعية. فالضيافة عادة ملزمة للجميع إلا أن المدح يأتي لمن تجاوز في بذله وأريحيته حدّ الإلزام وأظهر في ضيافته قدراً من السباحة فمدح على مقدار تجاوزه الحد الأدنى المتفق عليه

عند الجميع . وفيهم من يبلغ به الشح وانكماش اليد إلى حدّ التخلي عن مستوى الإلزام الاجتماعي فينقص عنه أو يبتعد منه وبمقدار نقصه ومسافة بعده تحت خط الاتفاق على الأداء للعرف الاجتماعي فينقص عنه أو يبتعد منه وبمقدار نقصه ومسافة بعده تحت خط الاتفاق على الأداء للعرف الاجتماعي يكون الموقف منه والهجاء له . وقد هجى أقوام بالبخل على الضيف ووصفوا بكل صور البخل والحرمان للضيف من حق الضيافة على الرغم من الحق الواجب له الذي يدعيه كل العرب بخيلهم وسخيهم وفقيرهم وغنيهم . يقول القطامي في أبيات له يشرح فيها رأيه في الحياة وموقفه من هؤلاء الباخلين ويصف تجربة شخصية مرّت عليه عندما نزل بامرأة من محارب فلم تنشط لقراه وتباطأت بحقه حتى رحل عنها وهو لم يطعم لها طعاماً ولم يذق لها قوتاً^(٢١٨) :

وَإِنِّي وَإِنْ كَانَ الْمَسَافِرُ نَازِلًا	وَإِنْ كَانَ ذَا حَقٍّ عَلَى النَّاسِ وَاجِبٌ
لَا بُدَّ أَنَّ الضَّيْفَ مُحِبٌّ مَسَا رَأَى	مُحِبٌّ أَهْلٍ أَوْ مُحِبٌّ صَاحِبِ
لِمُخْبِرِكَ الْأَنْبَاءِ عَنْ أُمِّ مَنْزِلٍ	تَضَيَّفْتُهَا بَيْنَ الْعُذَيْبِ وَرَاسِبِ
تَلَفَّعْتُ فِي طَلٍّ وَرِيحٍ تَلْفُئِي	وَفِي طَرْمَسَاءٍ غَيْرَ ذَاتِ كَوَاكِبِ
إِلَى حَيْرَبُونَ تُوَقِّدُ النَّارَ كُلَّمَا	تَلَفَّعْتُ الظُّلْمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
تَصَلَّى بِهَا بَرْدَ الْعِشَاءِ لَمْ تَكُنْ	تُخَالُ وَيَبِصُ النَّارِ يَبْدُو لِرَاكِبِ
فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بُغَامٌ مَطِيئِي	يُرِيحُ بِمَسْحُورٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبِ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وَنَاقِي	إِلَيْكَ فَلَا تَدْعُرْ عَلَيَّ رَكَائِبِي
فَسَلَّمْتُ وَالتَّسْلِيمُ لَيْسَ يَسْرُهَا	وَلَكِنَّهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ جَانِبِ
فَرَدَّتْ سَلَامًا كَارِهَا ثُمَّ أَعْرَضَتْ	كَمَا انْحَاذَتْ الْأَفْعَى خِفَافَةَ ضَارِبِ
فَقُلْتُ هَلَا لَا تَفْعَلِي ذَا بِرَاكِبِ	أَتَاكَ مُصِيبًا مَا أَصَابَ فَذَاهِبِ

١ (٢١٨) ديوان القطامي ص ٤٥ .

فَلَمَّا بَدَا حِرْمَانُهَا الضَّيْفُ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ مَنَاحُ السُّوءِ ضَرْبَةً لَا زِبْ
فَقُمْتُ إِلَى مَهْرِيَّةٍ قَدْ تَعَوَّدْتُ يَدَاهَا وَرِجْلَاهَا خَيْبَ الْمَوَاكِبِ
أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا شَتَوْا لِطَارِقٍ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحُبَّاحِبِ

يصرح الشاعر في قصيدته أنه ضاف حياً من العرب ونزل على امرأة من محارب فلم تنهض لقراه ولم تقدم له طعام الضيافة فخرج جائعاً يهجوها ويهجو قومها ويهدد بما تخافه العرب وتحسب له كل حساب وهو الذم والعار وما سيخبر عنه الضيف وينشره في الآفاق. ويقول ذو الرمة في قوم ضافهم فلم ينشطوا لقراه^(٢١٩):

تَخَطَّ إِلَى الْقَفْرِ أَمْرًا الْقَيْسُ إِنَّهُ
سَوَاءٌ عَلَى الضَّيْفِ أَمْرُ الْقَيْسِ وَالْقَفْرِ
تَحِبُّ أَمْرُ الْقَيْسِ الْقِرَى أَنْ تَنَالَهُ
وَتَأْبَى مَقَارِبَهَا إِذَا طَلَعَ النُّسْرُ

وقد وصفهم بأنهم والفرسواء وما يجد الضيف فرقاً أن يبقى في فلاة من الأرض خالية أو ينزل في امرئ القيس فذلك في رأيه سيان. وفي موضع آخر يضع نفسه مع خصمه موضع المباهلة فيدعو على أبطأ الحيين في قرى الضيف وأبعدهم عن تعجيله فيقول^(٢٢٠):

لَحَا اللَّهُ أَنَا عَنِ الضَّيْفِ بِالْقِرَى
وَأَضَعَفْنَا عَنْ عَرْضِ وَالِدِهِ ذَباً

ويصف فضالة بن شريك عاصم بن عمر بن الخطاب بأنه بخيل على ضيفه كريم على نفسه يملأ بطنه وينام وضيغه جائع مجهود فيقول^(٢٢١):

(٢١٩) ديوان ذي الرمة ص ٥٩٤.

(٢٢٠) ديوان ذي الرمة ص ١٧٦٢.

(٢٢١) الأغاني ج ١٢ ص ٦٧.

أَلَا أَيُّهَا الْبَاغِي الْقِرَى لَسْتُ وَاجِداً
قِرَاكَ إِذَا مَا بَتُّ فِي دَارِ عَاصِمٍ
إِذَا جِئْتَهُ تَبَغِي الْقِرَى بَاتَ نَائِماً
بَطِيناً وَأَمْسَى ضَيْفُهُ غَيْرَ نَائِمٍ

مثلاً تقدم من الأبيات أبيات كثيرة تكرر في الشعر وتذم الباخلين على الضيف وتصف بعض أحياء العرب وبعض الرجال بعدم اهتمامهم بالضيف، فالفقر وبيت البخيل سواء وما على طالب القرى إلا أن يختار الفقر على من لا يقدر حق الضيف فيقول عمر بن لجأ التيمي (٢٢٢) :

وَمَنْزِلُ يَرْبُوعٍ إِذَا الضَّيْفُ آبَهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِ وَالْقِفَارُ الْأَمَالِسُ
وما يتعرض له الباخل من الهجاء حري بأن يزجره عن البخل ويزجر غيره حتى يتعظ فلا يعمل عمله ولا يفعل فعله كما قال مصعب بن عمير الليثي (٢٢٣) :

سَيُرُوا فَقَدْ جَنَّ الظَّلَامُ عَلَيْكُمْ
فَيْشَ امْرُؤٍ يَرْجُو الْقِرَى عِنْدَ عَاصِمٍ
دَفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذِّبْخِ حَاطِياً
نَشُدُّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعَمَائِمِ

إنها صورة مخزية وهجاء مقدع تقشعر منها الأبدان وَتَسْوَدُّ منها الوجوه ويخشاه العربي ذو المروءة فيحذر أن يصيبه مثلها فيحرص على أن يتجنب كل شيء يضعه على لسان شاعر خوفاً

(٢٢٢) ديوان عمر بن لجأ التيمي ص ١١٢ .

(٢٢٣) البخلاء ص ٢١٩ .

أن يطلق للقول عنانه في ذمه سواء كان ما قال حقاً أو باطلاً صحيحاً أو كذباً . إن المهم عنده ألا يندلع لسان بهجائه فيشتري عرضه بالمال ويحفظ ذكره الحسن عن السنة حداد تصوره بصورة الإزدراء والتقزم أمام المجتمع الذي يعده الكريم شاهداً عليه . وإقراء الضيف هو سلم النجاة يصعده الرجال إلى قمم المجد والمكان المتسع أمام المادحين .

وقد عرف الشعراء جزع العرب والأجواد منهم خاصة من الهجاء وشدته عليهم فجعلوه أحد الأسلحة الفتاكة ولا سيما ما يتعلق بمروءة الرجل أو كرامته أو ما يطعن بنجدته وهذا الأشعر الرقبان الأسدي يقول فيمن يهجو^(٢٢٤) :

تَجَانَفَ رِضْوَانٌ عَنْ ضَيْفِهِ أَلَمْ يَأْتِ رِضْوَانٌ مِنِّي النُّذْرُ
بِحَسْبِكَ بِالقُومِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضَرٌ
وَقَدْ عَلِمَ المَعَشْرُ الطَّارِقُو نَ بِأَنَّكَ لِضَيْفِ جُوعٍ وَقَرٌ
فَأَنْتَ مَسِيخٌ كُلِّهِمِ الحَوَا رَ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌ

وبشر بن أبي خازم يتخذ الهجاء ذريعة للاذلال ويعير بني لأم باستهانتهم بحق الضيف وعدم القيام بواجب القرى فيقول^(٢٢٥) .

أَلَا أُبْلِغُ بَنِي لَأَمْ رَسُولًا فَبِئْسَ مَحَلُّ رَاحِلَةِ الغَرِيبِ
لِضَيْفٍ قَدْ أَلَمَّ بِهَا عِشَاءً عَلَى الخَسْفِ المُبِينِ والجُدُوبِ

وقد كان من العرب وحتى من الشعراء من وصف بأنه يكره الضيف ويبغضه ولا يود أن يراه مرة أخرى وهو عندهم همٌ ثقيل وليل طويل لا ينجلي مقامه فيهم ولو كان قصيراً إذا

(٢٢٤) النوادر ص ٧٣ .

(٢٢٥) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٢١ .

صدقنا حسين بن عرفة إذ يقول فيمن يصفهم بالبخل ويعيرهم بكراهة الضيف^(٢٢٦):

وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِحٍ لَا يَلُ أَحَبُّهُمْ إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

وفي مقابل من يوقدون النار على النشز العالي لجلب الضيف يوصف قوم منهم أنهم لا يؤذنون للصلاة خشية أن يسمع الأذان ضيف فيأتي إليهم طالباً القرى فيقول بعض الشعراء في هجاء البخلاء:

تَرَاهُمْ خَشْيَةَ الْأَضْيَافِ خُرْسًا يَصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلاَ أَذَانٍ

وعيب الخطيئة بني بجاد ويعيرهم بحرمان الضيف وأنه لا يحمدهم أحد فيقول فيهم^(٢٢٧):

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ فِي الْقِرَى ضَيْفَانَهُ

فَبَنُو بَجَادٍ فِي الْقِرَى لَمْ يُحْمَدُوا

كل ما سبق نعه هجاء لنهاج البخالين على الضيف يتخذه الشعراء العرب موضوعاً قد لا يكون فيه من الصواب إلا ما يشفي غضب الشاعر الهجاء وينتقم له ممن استحق هجاءه فيقلب حسنات المهجوع إلى قبائح، وفضائله إلى نقص وعيب ويسلط لسانه على أكرم الناس فلا يشفع له فضل ولا يرعى الشاعر فيه ذمة. وقد عرضنا هجاء بشر بن أبي حازم لبني لأم وهو يعني سيدهم أوس بن حارثة الذي وصفه حاتم الطائي أمام النعمان بأنه خير منه وأن له عشرة من الولد أحسنهم أفضل من حاتم الطائي نفسه^(٢٢٨).

لكننا لا نعدم في الشعر العربي نموذجاً آخر يبغض الضيف ويهجوه ويبخل عليه وهو ليس هجاءً يقلب الواقع ويغير الحقيقة ويشيع حاسة الغضب ضد المهجوعين لكنه رأى

(٢٢٦) بهجة المجالس ج ١، ص ٢٩٩.

(٢٢٧) ديوان الخطيئة نص ٢٨٩.

(٢٢٨) ديوان حاتم الطائي ص ٥٥.

حوليات كلية الآداب

الشاعر نفسه الذي يعبر به عن ذاته وعن كراهيته للأضياف ولا يخفي بخله عليهم واستثقاله لوجودهم عنده ويود لو لم يرههم بفناء منزله أبداً. وهذا الصنف يناقض ما يدعيه الذين يتحدثون عن إكرام الضيف ويرحبون به ويظهرون في شعرهم أنهم ربيع الأضياف ومأوى الجائعين ويمدحون من أرادوا مدحه بالسخاء وإطعام الطعام للغريب والطارق. ويهجون من أرادوا هجاءه بعكس ذلك. والالتفات ممكن لاستنطاق بعض الشعراء الذين أعلنوا رأيهم بأنفسهم وهجوا الضيف وأظهروا عدم الرغبة بضيافته عندما تجلبه إليهم الحاجة فلا يجدون بداً من قراه على مضض وعسر وتذمر منه واستثقال له. وهذه الفئة لا تخفي كرهها للضيف وضيقتها به وتحالف ما يزعم العرب من الظهور بالكرم والجود والتمدح بها. وقد عرف من الشعراء من كان هجاءاً للأضياف يبغضهم ولا يخفي بخله عليهم، ومنهم الخطيئة الذي ينسب إليه أنه يقول للضيف إذا نزل به وطلب القرى: «ما ضمنت لأهلك قراك»^(٢٢٩) : وكان لا ينزل به ضيف إلا هجاه. من هجائه له قوله^(٢٣٠):

وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ فَقُلْتُ مَهْلاً كَفْتُكَ الْمَرَّةَ الْأُولَى السَّلَامَا
وَنَقْنَقَ بَطْنُهُ وَدَعَا رُؤُوساً لِمَا قَدْ نَالَ مِنْ شِبَعٍ وَنَامَا

وغير الخطيئة كان حميد الأرقط^(٢٣١) هجاءاً للضيوف فحاشاً عليهم نزل به مرة ضيوف فأطعمهم تمرا وهجاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه، وأنهم يسطرون الأخبار ويتحدثون بما لا يود أن يسمع منهم وما فعلوا ذلك إلا توسلاً إلى الطعام وانتظاراً له فقال:

يُسْطَرُونَ لَنَا الْأَخْبَارَ إِذْ نَزَلُوا وَكُلُّ مَا سَطَرُوا لِقَمِّ تَمَكِينُ
بَاتُوا وَجَلَّتْنَا الصُّهْبَاءُ بَيْنَهُمْ كَأَنَّ أَظْفَارَهُمْ فِيهَا سَكَكِينُ
فَأَصْبَحُوا وَالنَّوَى عَالِي مَعْرِسِهِمْ وَلَيْسَ كُلُّ النَّوَى تُلْقِي الْمَسَاكِينُ

(٢٢٩) الأغاني ج ٢ ص ١٤٢.

(٢٣٠) الأغاني ج ٢ ص ١٤٤.

(٢٣١) الشعر والشعراء ج ١ ص ٣٢٢.

وقد اشتهر بلقب هجاء الأضياف وقال في ضيف له يصف أكله :

مَا بَيْنَ لُقْمَتِهِ الْأُولَى إِذَا انْحَدَرَتْ
وَبَيْنَ أُخْرَى تَلِيَهَا قَيْدُ اظْفُورِ

وقال في وصف آخر :

تُجْهِزُ كَفَّاهُ وَيُحْدِرُ حَلْقُهُ إِلَى الزَّوْرِ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
من الشعراء المشهورين بهجاء الأضياف مزرد بن ضرار، وهو خبيث اللسان حلف
الا ينزل به ضيف إلا هجاه ولا يتكذب بيته إلا هجاه ومن قوله في ضيفه^(٢٣٢) :

فَقُلْتُ لَهُ مَا تَبْتَغِي؟ قَالَ: أَبْتَغِي
قَلُوصاً لَنَا وَرَقَاءَ مِنْ نَعْمِ الْخَضِرِ
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ يَتَّقِي الْكَلْبَ بِالْعَصَا
وَلَا يَتَّقِي صُمَّ الْأَسَاوِدِ إِذْ تَسْرِي
وَلَكِنَّهُ نَقَّتْ ضَفَادِعُ بَطْنِهِ
أَنْ أَخْبَرَ أَصْرَاماً بِنَحْلٍ أُولَى تَمْرِ
فَبَانَتْ لَهُ الشَّيْزَى قِيَاماً بِرِزْقِهِ
إِلَى أَنْ غَدَا مِنْهُمْ كَالْأَيْنِ الْقُمْرِ
فَأَطْعَمْتُهُ حَتَّى حَبَّتْ حَاوِيَاؤُهُ
كَحَبُو الْجَوَارِي فِي مَلَاعِيهَا الْبُجْرِ

(٢٣٢) ديوان مزرد بن ضرار الغطفاني ص ٤٩ .

وانظر أيضاً الديان عن هجائه للأضياف ص ٦٦ وكيف كانت الضيوف تتقي لسانه وتهرب عنه خشية هجائه للضيف .

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَجْهَرُ غَادِيًا
أَلَا كُلُّ عَوْفِي يَضَيِّفُ وَلَا يَقْرِي

ومزرد من سادات قمه وأهل الشرف فيهم فلم يمنعه شرفه من إقدامه على كسر الأعراف التي تبجل حق الضيف وخرج على سنن العرب في احترام الضيافة وأعلن في شعره أنه لا يسر بمقدم الضيف ولا يفرح به .

ومن نطق شعره بخواطر بغضه للضيف ووصفه مستثقلًا قدومه إليه متضائقًا من حديثه مسكين الدارمي إذ يقول في ضيفه (٢٣٣):

أَتَى يَخْبُطُ الظَّلْمَاءَ وَاللَّيْلُ دَامِسٌ يُسَائِلُ عَنْ غَيْرِ الَّذِي هُوَ أَمِلُ
فَقُلْتُ هَلْ أَقْوَمِي إِلَيْهِ فَيَسْرِي طَعَامًا فَإِنَّ الضَّيْفَ لَا بُدَّ نَازِلُ

وفي أبياته ما ينم عن عدم رغبته بالفضل الذي يدعيه العرب ونضحت معانيه باستثقال الضيف الثراء الذي يشغل نفسه والآخرين في أحاديث هامشية غير ذات بال وهو قادم يبحث عن شيء آخر . وحيد الأرقط يأتي بأبيات مشابهة اللغة واللحن والمعنى فيقول في ضيفه غير ما سبق له من شعر (٢٣٤):

أَنَا وَمَادَانَاهُ سَحْبَانُ وَائِلُ
بَيَانًا وَعِلْمًا بِالَّذِي هُوَ قَائِلُ
فَمَا زَالَ مِنْهُ اللَّقْمُ حَتَّى كَانَهُ
مِنَ الْعَيِّ لِمَا أَنْ تَكَلَّمَ بِأَقْلُ

إن الكلام الكثير الذي يتحدث به الضيف منذ قدم إلى حميد غير ذي موضوع

(٢٣٣) ديوان مسكين ص ٥٧ .

(٢٣٤) الأبيات منسوبة لمسكين الدارمي في ديوانه ص ٥٨ .

فالمطلوب القرى الطعام وما إزجاء الكلام إلا جزء من التعلّة التي لا فائدة منها ولا يستسيغها حميد. وعند مسكين الدارمي نزعة عدوانية ضد الضيف وشعور بالملل منه لا يخفيه في طيات أبياته المتناثرة وفي حنايا شعره ومنها قوله^(٢٣٥):

وَضَيْفٌ يُخَوِّضُ اللَّيْلَ خَوْضًا كَأَنَّما
يُخَوِّضُ بِهِ حَتَّى تَأْوِيَنِي بَحْرًا

ومسكين له في قومه نسب ومكانة اجتماعية يجب ألا يفرط فيها ولا يعرضها للهجاء والذم، ومثله كان مزرد بن ضرار من أعيان قبيلته وأهل الشرف في غطفان وقد هجا الضيف مثل مسكين.

إن الطبيعة الإنسانية مواتية لكل هذه المفارقات وجديرة أن تظهر في مجتمع الجزيرة فئة - نظنها قليلة - يقوى عندها الاهتمام بأعجاد العرب فتحافظ عليها وتضحي في سبيلها بكل غالٍ ورخيص - وفئة كثيرة بل العامة منهم - تقري الضيف بعسر وتقبل إقامته على مضض ولكنها لا تتنكر للعرف الاجتماعي ولا ترفضه لما فيه من إشراق الحياة وما يجلبه من الذكر الحسن المحب لدى العرب. وفئة ثالثة قليلة كقلة الفئة الأولى تعلن بغضها للضيف وتبخل بخلاً شديداً عليه ويتفلت رأيها فيما روي عنها من شعر كما هو في الأبيات السابقة. وإذا كانت الفئة الأولى تفخر بإقراء الضيف وتمدح به فإن الفئة الثالثة تهجو الضيف وتظهر موقفها في شعرها ويهجوها الشعراء ببخلها عليه وحرمانها إياه. وتصبح لغة المادحين للفريق الأول لغة هجاء حادة للفريق الثاني. وقد ذكرنا فخر العرب فيما مضى من شعر بأن كلاهم لا تنبح الضيف ولا تهزه بل تدله إلى أهلها وتقوده إليهم عندما يسمع الضيف نباحها فيتجه إليهم ويلقونه بالبشر وحسن الاستقبال، أما عند البخلاء فإن الكلب يصبح موضوعاً مقابلاً للأول كما يقول صخر بن أعبي الأسدي^(٢٣٦):

(٢٣٥) ديوان مسكين الدارمي ص ٤٦.

(٢٣٦) الأغاني ج ٢ ص ١٤٤.

أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الحُطَيْئَةَ إِنَّهُ
عَلَى كُلِّ ضَيْفٍ ضَافَهُ فَهُوَ سَالِحٌ
دَفَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْنُقُ كَلْبَهُ
أَلَا كُلُّ كَلْبٍ لَا أَبَالَكَ نَابِحٌ
بَكَيتَ عَلَى مَذْقٍ خَبِيثٍ قَرِيتُهُ
أَلَا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلَى الزَّادِ شَائِحٌ

وغير الأبيات السابقة أبيات أوردها الجاحظ تصف موقف بعض العرب الذين
يشلون الكلاب لتطرد الضيف وتبعده عن ساحة الحي فيقول الشاعر في وصفهم^(٢٣٧):

نَزَلْنَا بِخَلَادٍ فَأَشْلَى كِلَابَهُ
عَلَيْنَا فَكِدْنَا عِنْدَ بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ
تَنَاوَمْتَ نَصْفَ اللَّيْلِ ثُمَّ أَتَيْتَنَا
بِقَعْبَيْنِ مِنْ ضَيْحٍ مَا كِدْتَ تَفْعَلُ
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي مُسِرًّا إِلَيْهِمْ
أَذَا الْيَوْمُ أَمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَطْوَلُ

وهو ما لم يكن معهوداً من الشعر إلا أنه من الأقرب إلى طبيعة الأشياء ألا يكون
العرب جميعهم أهل ضيافة وقرى، وأن العدد القليل هو الذي يحافظ على الضيافة ويطلب
الذكر الجميل والسمعة الطيبة حتى لا يشنأ ولا يعاب فضلهم ويشوه تاريخهم.

(٢٣٧) الحيوان ج ٢ ص ٢١٠.

الخاتمة

وبعد هذا الاستعراض للشعر الذي ذكر فضل القرى وشرح عادات العرب في قرى
الضيف وموقفهم من الكرم والجود وفخرهم الذي يبلغ بهم حداً لا يكاد يصدق على غيرهم
على الرغم مما صفت به جزيرتهم من شدة الطبيعة وقلة الزرع وانعدام الأنهار، كما وصفت
حياتهم بالفقر والحاجة وضيق ذات اليد حتى إن العطية القليلة والنزر اليسير يكبر ويعظم
لموقع الحاجة إليه عند بذله لا بقدر كثرته أو قلته، وقد مدح عوف القوافي، طلحة بن
عبد الله بن عوف بشعر لم يترك لغيره فضلاً يصل إليه بعده حتى أغضب ذلك المدح
الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد موت طلحة وقال للشاعر عندما قدم لمدحه ما بقيت لي
بعدهما قلت لأخي بني زهرة . . . ألسنت الذي يقول (٢٣٨).

يَا طَلْحَ أَنْتَ أَخُو النَّدَى وَحَلِيفُهُ إِنَّ النَّدَى مِنْ بَعْدِ طَلْحَةَ مَاتَا
إِنَّ الْفِعَالَ إِلَيْكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ فَبَحِثْ بِتُّ مِنَ الْمَنَازِلِ بَاتَا
أولست الذي يقول:

إِذَا مَا جَاءَ يَوْمُكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ
فَلَا مَطَرَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
وَلَا سَارَ الْبَشِيرُ بِغُنْمِ جَيْشٍ
وَلَا حَمَلَتْ عَلَى الطَّهْرِ النِّسَاءُ
تَسَاقَى النَّاسُ بَعْدَكَ يَا ابْنَ عَوْفٍ
دَرِيعَ الْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

(٢٣٨) الأغاني ج ١٩ ص ١٣٣ .

ألم تقم علينا الساعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا أنفعك أبداً.
أخرجوه عني .

فلما سأله عما أعطاه طلحة حتى استحق كل مدحه قال: أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته لكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى في قلبي ولا أبقي شكراً ولا أجدر ألا أنساها من عطيته^(٢٣٩). ثم ذكر شيئاً قليلاً من العطاء إلا أنه وافق حاجة وسد فاقة فعظم قدره عند الشاعر لموافقته خلة وحاجة فسدهما فكانت قيمة العطية التي لم يجد أحلى منها في قلبه وأنه لا ينساها أبداً، وبهذا يصح أن تكون قيمة الجود والعطاء والكرم بمقدار الحاجة إليه. وقد أشار بشار إلى هذا المعنى فقال:

إِذَا تَكْرَهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ
تَقْدِرْ عَلَى سِعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
بُتُّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ
فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

ومع بذل القليل على الرغم من الحاجة إليه فإن الحياة الاجتماعية كانت تنزع إلى الظهور بمظهر القوة والاستعلاء وحب السيادة، وقد ألمح محمد محمد حسين إلى هذه الخصلة في إرثهم الأدبي فقال: «لم يكن الكرم ممدحاً لأنه من آثار الرحمة والعطف ولكن لأنه مظهر السيادة والتفضل والقوة والاستعلاء، فالكريم هو القوي الذي يجود مما تجدي عليه السيوف والرماح، وهو لا يدخر المال لأنه لا يخشى الفقر ولا يشفق من المستقبل ما دام قادراً أن ينتزع الثروة حيث كانت ظالماً مقتدراً»^(٢٤٠). وإذا كان هذا القول قد استنبط من صورة القوة والاستعلاء كما نص على ذلك الباحث فإن الدافع الأقوى ليس هو القدرة على انتزاع المال لإنفاقه وإنما التجاوب مع النزعات النفسية التي تحجب خصال المروءة وتقرب القادرين على

(٢٣٩) ديوان بشار ص ٢٣٨ .

(٢٤٠) المهجاء والمجازون ص ٩٨ .

البذل إلى نفوس الناس وتحلهم مكانة رفيعة في المجتمع الذي يقدر ما يقومون به ويشمنه لهم. وقد قرب من هذا المعنى الأستاذ محمد الحضري حين قال^(٢٤١): «ومن أخلاقهم المتأصلة فيهم الكرم وقد استنفدوا فيه نصف شعرهم بين ممتدح به ومثن عليه غيره، وكان الواحد منهم يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقتة التي هي حياته وحياة ولده فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها فيذبحها لضيفه يخشون مذمات الأحاديث ويقول قائلهم:

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمَ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ

إن من لا يملك إلا الناقة الواحدة أو الشاة الواحدة فيقدمها لضيفه طيبة بها نفسه ليس ذاك الذي تجدي عليه الرماح والسيوف ينتزع الثروة بالقوة ظالماً مقتدراً كما في النص السابق، بل إن الخوف من هجاء العرض والطمع بالحمد هو الأقرب إلى تفسير جودهم وإنفاقهم وكرم أخلاقهم. وقد أدرك الأستاذ الحاجري في تقديمه لبخلاء الجاحظ المفارقة التي يفتعلها العربي وميز هذا الإحساس عندما علل قيام الجاحظ برسم صورة البخلاء وزعم أن الأمر قائم على أسى النزعات الفنية وأجدرها أن ترتفع به فوق جميع تلك الاعتبارات. ذلك هو تصوير تلك الحركات النفسية المختلفة والخلجات الذهنية المتفاوتة في أسلوب فني جميل^(٢٤٢).

وقد أكد الجاحظ^(٢٤٣) أن حياة العرب ليست كلها بؤساً وفقراً وليس الإنفاق عندهم محدوداً قليلاً ثم نفى أن تكون صفاتهم للمآدب والقذور وآلات الطعام متخيلة مفتعلة ولكنهم كما يقول أهل إنفاق لا يعبأون بشيء عندما تخلص أرضهم وتقرع حياتهم: «وهم وإن كانوا - يعني العرب - في بلادهم جذب فإنهم أحسن الناس حالاً في الخصب، فلا تظنن أن كل ما يصفون به قدورهم وجفانهم وثريدتهم وحيسهم باطل. حدثني الأصمعي قال:

(٢٤١) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ج ١ ص ٤٠.

(٢٤٢) البخلاء ص ٤٢.

(٢٤٣) البخلاء ص ٢٢٣.

سألت المنتجع بن نيهان عن خصب البادية فقال: ربما رأيت الكلب يتخطى الخلاصة وهي له معرضة شبعاً. أي أن لفحات الفقر وغلبة شظف الحياة عليهم لم يعلمهم البخل أو التقدير على أنفسهم أو في حياتهم وإنما علمهم الإنفاق والبذل فجعلوا أيام الخصب تعبيراً للإنفاق والبذخ وإظهار الترف والبعد عن الإدخار لليالي المظلمة في مستقبل الأيام واتعظوا أشدة العظة فيما يجدون من ألم الجوع عند الحاجة فعلمهم جوعهم قيمة الوجبة ووقعها في نفس المحتاج الجائع حتى أصبح الجود طبيعة جبلت عليها أخلاقهم كما تقول غنية بنت عفيف بن عمرو^(٢٤٤):

لَعَمْرِي لِقَدْ مَأْ عَضُّنِي الْجُوعُ عَضَّةً
فَأَلَيْتُ أَلَّا أُمْنَعَ الدَّهْرَ جَائِعاً

إن هذا البيت أقرب ما يفسر لنا سبب إنفاق العرب والمبالغة في الكرم والإطعام مع ما نعرف عن بيئتهم وحياتهم من قلة وفقر وحاجة دائمة فلم يمنهم ما هم فيه من أن يدعوا إلى الجود وأن يفخروا بالكرم ويهجووا بالبخل ويذموا من لم يستطع تجاوز علل النفس وجبلة الإمساك وحب التملك الذي وجد عند الإنسان وكان غريزة ثابتة في سلوكه، إلا أنك تجد أنهم قد جعلوا امتلاك الفضل والحمد والذكر الحسن مكان امتلاك المال والثروة فيتسامى العربي برغبته إلى الكمال وحب الخلود الدائم والبقاء المستمر. وهذا ما فعلته العرب وفخرت به وبالغت في وصفه حتى عرف عنها وأقرت لها الشعوب والأمم بكرم الضيافة وبذل المال في سبيل امتلاك المجد.

(٢٤٤) انظر مقدمة ديوان حاتم الطائي ص ١٠.

المصادر والمراجع

الأغاني

تأليف : أبي الفرج الأصفهاني

التاريخ : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨

الطبعة : الرابعة

الأمالي

تأليف : أبي علي القالي

نشر : دار الكتاب العربي ببيروت

الإمتاع والمؤانسة

تأليف : أبي حيان التوحيد

تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين

الناشر : دار مكتبة الحياة ببيروت

أمية بن أبي الصلت حياته وشعره

تحقيق : بهجة عبد الغفور الحديثي

التاريخ : ١٣٧٥هـ

الناشر : وزارة الإعلام بغداد

إكرام الضيف

تأليف : الحافظ أبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي

تحقيق : عبد الغفور سليمان البنداري

التاريخ : ١٤٠٦ - ١٩٨٦م

الطبعة : الأولى

الناشر : دارالكتاب العلمية ببيروت

البخلاء

تأليف : أبي عمرو الجاحظ

تحقيق : طه الحاجري

الطبعة : السادسة

الناشر : دار المعارف القاهرة

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

تأليف : محمود شكري الألوسي

تحقيق : محمد بهجة الأثري

الطبعة : الثانية ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

بهجة المجالس وأنس المجالس

تأليف : يوسف النمري القرطبي

تحقيق : محمد مرسي الخولي

نشر : دار الكتاب العلمية بيروت ١٩٨١ م

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب

تأليف : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

التاريخ : ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر

الجامع لأحكام القرآن

تأليف : محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني

الطبعة : الثالثة

التاريخ : ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

نشر : دار الكتاب العربي للطباعة

الحماسة : شرح ديوان الحماسة

تأليف : أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون

التاريخ : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة : الثانية

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر

الحياة العربية في الشعر الجاهلي

تأليف : أحمد محمد الحوفي

التاريخ : ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

الطبعة : الخامسة

الناشر : دار نهضة مصر

الحيوان

تأليف : أبي عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق : عبد السلام هارون

الناشر : دار إحياء التراث

«ديوان الأفوه الأودي» ضمن مجموعة الطرائف الأدبية

حققه : عبد العزيز الميمني

التاريخ : ١٩٣٧م

الناشر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس

تحقيق : محمد محمد حسين

التاريخ : ١٩٧٤م

الناشر : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت

ديوان امرىء القيس

تحقيق : أبو الفضل إبراهيم

الطبعة : الرابعة

الناشر : دار المعارف بمصر

ديوان أوس بن حجر

تحقيق : محمد يوسف نجم

التاريخ : ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الطبعة : الثالثة

الناشر : دار صادر بيروت

ديوان بشار بن برد

تحقيق : محمد الصادق عفيفي

التاريخ : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

الناشر : دار الرائد العربي

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي

تحقيق : عزة حسن

التاريخ : ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق

ديوان جران العود النميري

تحقيق : أحمد نسيم

التاريخ : ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الكتب المصرية القاهرة

ديوان حسان بن ثابت

تحقيق : سيد حنفي حسنين

التاريخ : ١٩٧٤م

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

ديوان الخطيئة

تحقيق : نعمان أمين طه

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م

الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر

ديوان الخنساء

تحقيق : كرم البستاني

الطبعة : السابعة

التاريخ : ١٩٧٨م

الناشر : دار الأندلس - بيروت

الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره

تأليف : أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب

تحقيق : محمد يوسف نجم

التاريخ : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الناشر : دار صادر بيروت

ديوان الراعي النميري

تحقيق : راينهت فايرت

الطبعة : ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م

نشر : دار فرائنس - بيروت

ديوان ذي الرمة

تحقيق : عبد القدوس أبو صالح

التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الناشر : مؤسسة الإيمان - بيروت

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس

تحقيق : عبد العزيز الميمني

التاريخ : ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة

ديوان سراقه البارقي

تحقيق : حسين نصار

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان سلامة بن جندل

تحقيق : فخر الدين قباوة

التاريخ : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م

الطبعة : الأولى

الناشر : المكتبة العربية - حلب

ديوان شعر حاتم الطائي

تحقيق : عادل سليمان جمال

الناشر : مطبعة المدني - القاهرة

ديوان الصمة بن عبد الله القشيري

تحقيق : عبد العزيز الفيصل

التاريخ : ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

ديوان الطفيل الغنوي

تحقيق : محمد عبد القادر أحمد

التاريخ : ١٩٦٨م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الكتاب الجديد

ديوان عامر بن الطفيل

نشر : كرم البستاني

التاريخ : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

ديوان عبيد بن الأبرص

تحقيق : حسين نصار

الطبعة : الأولى

التاريخ : ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م

الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر

ديوان شعر عبد الله بن رواحة

تحقيق : وليد قصّاب

التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الناشر : دار العلوم

ديوان عروة بن الورد

نشر : كرم البستاني

ديوان عنتر بن شداد

نشر : كرم البستاني

التاريخ : ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت

تحقيق : حسن باجودة

نشر : مكتبة دار التراث القاهرة

ديوان كثير عزة

تحقيق : إحسان عباس

التاريخ : ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

الناشر : دار الثقافة بيروت

ديوان القطامي

تحقيق : إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب

التاريخ : ١٩٦٠م

الناشر : دار الثقافة - بيروت

ديوان ابن مقبل

تحقيق : عزة حسن

التاريخ : ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م

الناشر : مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم

ديوان مسكين الدارمي

تحقيق : عبد الله الجبوري

التاريخ : ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار البصري

ديوان النابغة الذبياني

تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر : دار المعارف بمصر

ديوان المهذلين

تحقيق : أحمد الزين

التاريخ : ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري

تحقيق : إحسان عباس

التاريخ : ١٩٦٢م

الناشر : وزارة الإعلام - الكويت

شعر الأخطل

تحقيق : فخر الدين قباوة

التاريخ : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

الناشر : دار الآفاق الجديدة - بيروت

شعر شبيب بن البرصاء ضمن شعراء أمويون

جمع وتحقيق : نوري حمودي القيسي

التاريخ : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار عالم الكتب

شعر السموءل

تحقيق : عيسى سابا

التاريخ : ١٩٥١م

الناشر : مكتبة الصياد - بيروت

شعر المثقب العبدى

تحقيق : محمد حسن آل ياسين

التاريخ : ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م

وديان شعر المثقب لعبدي

تحقيق : حسن كامل الصيرفي

نشر : معهد المخطوطات

التاريخ : ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

شعر عمرو بن لجأ التيمي

تحقيق : يحيى الجبوري

التاريخ : ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

الناشر : جامعة بغداد

شعر عمرو بن الأهم

تحقيق : سعود محمود عبد الجبار

التاريخ : ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الطبعة : الأولى

الناشر : مؤسسة الرسالة

شعر هذبة بن الخشرم

تحقيق : يحيى الجبوري

التاريخ : ١٩٧٦م

الناشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي

قصائد جاهلية نادرة

تحقيق : يحيى الجبوري

التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الطبعة : الأولى

الناشر : مؤسسة الرسالة

العقد الفريد

تأليف : أبي عمر بن أحمد بن عبد ربه الأندلسي

تحقيق : أحمد أمين وآخرين

التاريخ : ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

الناشر : لجنة التأليف والترجمة والنشر

العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده

تأليف : أبي الحسن بن رشيق القيرواني

تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

التاريخ : ١٩٧٢م

الطبعة : الرابعة

الكامل

تأليف : أبي العباس محمد بن يزيد المبرد

تحقيق : أحمد محمد الدالي

التاريخ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الطبعة : الأولى

الناشر : مؤسسة الرسالة

كتاب الكرماء

تأليف : أبي هلال العسكري

تحقيق : محمود محمد شاكر

التاريخ : ١٣٥٣هـ

لسان العرب

تأليف : العلامة ابن منظور

إعداد : وتصنيف يوسف خياط

الناشر : دار لسان العرب - بيروت

المحبر

تأليف : محمد بن حبيب
تحقيق : ايلزة ليختن شتير
الناشر : دار الآفاق الجديدة

معجم الأمثال

تأليف : أحمد بن محمد النيسابوري الميداني
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد
الناشر : دار المعارف بيروت

معجم الشعراء

تأليف : محمد بن عمران المرزباني
تحقيق : كرنكو
التاريخ : ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
الطبعة : الثانية
الناشر : مكتبة القدس

المحاسن والأضداد

تأليف : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق : عاصم عيتاني
التاريخ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
الطبعة : الأولى

محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية

تأليف : محمد الخضري
التاريخ : ١٩٦٩م
الناشر : المكتبة التجارية بمصر

المستطرف في كل فن مستطرف

تأليف : شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي

تحقيق : مفيد محمد قميحة

التاريخ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الناشر : دار الكتب العلمية

مغازي الواقدي

تأليف : محمد بن عمر بن واقد

تحقيق : مارسدن جونس

الناشر : عالم الكتب، بيروت

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف : جواد علي

التاريخ : ١٩٨٠م

الطبعة : الثالثة

الناشر : دار العلم للملايين

المقتطف من أزهار الطرف

تأليف : علي بن سعيد الأندلسي

تحقيق : سيد حنفي حسنين

الناشر : الهيئة المصرية للكتاب

المنمق في أخبار قريش

تأليف : محمد بن حبيب البغدادي

تحقيق : خورشيد أحمد فاروق

التاريخ : ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة : الأولى

نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب

تأليف : ابن سعيد الأندلسي

تحقيق : نصرت عبد الرحمن

التاريخ : ١٩٨٢ م

الناشر : مكتبة الأقصى

النوادر في اللغة

تأليف : أبي زيد الأنصاري

تحقيق : محمد عبد القادر أحمد

التاريخ : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

الطبعة : الأولى

الناشر : دار الشروق

نهاية الأرب في فنون الأدب

تأليف : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

صدر من هذه الحوليات

الحولية الأولى لعام ١٩٨٠ :

- ١ - الحدود الفلسفية للبنائية د. فؤاد زكريا
- ٢ - صفحات مجهولة من تاريخ ليبيا د. محمد عيسى صالحية
- ٣ - ابن قلاؤس، حياته وشعره د. سهام الفريخ
- ٤ - الأمير تنكر الحسامي د. حياة ناصر الحجي
- ٥ - التدرج الطبقي الاجتماعي في بعض الأقطار العربية (باللغة الانجليزية). د. خلدون حسن الفيب

الحولية الثانية لعام ١٩٨١ :

- ٦ - علي أحمد باكثير د. محمد عبده
- ٧ - تحليل أخطاء الطلبة العرب في استعمال أدوات التعريف والتكثير الانجليزية (باللغة الانجليزية). د. نايف خرما
- ٨ - دولة المالك ودولة مغول القفجاق د. حياة ناصر الحجي
- ٩ - المرأة والفلسفة د. محمود رجب

الحولية الثالثة لعام ١٩٨٢ :

- ١٠ - الروابط العائليّة القرابية في مجتمع الكويت المعاصر د. فهد الثاقب الثاقب
- ١١ - البيئة والسلوك د. طلعت منصور
- ١٢ - عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها في الفنون د. صلاح الدين البحيري
- ١٣ - لورنس ومحفوظ، دراسة أدبية سيكولوجية، مقارنة د. محمد رجا الدريني
- ١٤ - آل قدامة والصالحية د. شاكّر مصطفى

الحولية الرابعة لعام ١٩٨٣ :

- ١٥ - أسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية د. عبدالعال سالم مكرم
- ١٦ - مفهوم التفسير في العلم من زاوية منطقية د. عزمي موسى إسلام
- ١٧ - العمل الاجتماعي في المجال التربوي د. جلال الدين الغزاوي
- ١٨ - وحدة ميتافيزيقيا أرسطو ومنزلة الرياضيات فيها د. أبويعرب المرزوقي
- ١٩ - مفهوم التهكم عند كير كجور د. إمام عبدالفتاح

الحولية الخامسة لعام ١٩٨٤ :

- ٢٠ - نظرة في قرينة الاعراب، في الدراسات النحوية القديمة والحديثة د. محمد صلاح الدين بكر
٢١ - الأخويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية (باللغة الانجليزية) د. رشا حمود الصباح
٢٢ - تسع وثائق في شئون الحسبة على المساجد في الأندلس د. محمد عبد الوهاب خلاف
٢٣ - مشروع سوريا الكبرى وعلاقته بضم الضفة الغربية د. أحمد عبد الرحيم مصطفى
٢٤ - مفاهيم العلاج النفسي وأنماط التفاعل داخل الأسر المريضة (النشأة والتطور) د. حامد عبدالعزيز الفقي

الحولية السادسة لعام ١٩٨٥ :

- ٢٥ - نحاة القيروان د. يوسف أحمد المطوع
٢٦ - من وثائق الحرم القدسي الشريف المملوكية د. محمد عيسى صالحية
٢٧ - الفصاحة : مفهومها وبم تتحقق قيمها الجمالية د. توفيق علي الفيل
٢٨ - مشكلة التأويل العقلي عند مفكري الإسلام في الشرق العربي وخاصة عند ابن سينا. الأستاذ/ سعيد زايد
٢٩ - واقع التاريخ في رواية وجوب العنف (باللغة الانجليزية) د. رشا حمود الصباح
٣٠ - مكانة رواية روبنسون كروزو في القصص اللايوطوي (باللغة الانجليزية) د. محمد رجا الدريني
٣١ - مفهوم المعنى ودراسة تحليلية د. عزمي موسى إسلام
٣٢ - الوصايا ومدى تطورها في العصر العباسي الأول د. سهام الفريح

الحولية السابعة لعام ١٩٨٦ :

- ٣٣ - بردة البوصيري قراءة أدبية وفلكورية د. محمد رجب النجار
٣٤ - الارشاد النفسي تطور مفهومه وتميزه د. عبدالله محمود سليمان
٣٥ - اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات د. عبد الفتاح القرشي
٣٦ - علم العمران الخلدوني وعلم الاجتماع الحديث (باللغة الانجليزية) د. فؤاد البعلبي
٣٧ - قبيلة تميم العربية بين الجاهلية والإسلام د. عبد الجبار العبيدي
٣٨ - عيوب الكلام، دراسة لما يعاب في الكلام عند اللغويين العرب د. وسمية المنصور
٣٩ - المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي د. أحمد بن عمر الزيلعي
٤٠ - البحر في شعر الأندلس والمغرب د. منجد مصطفى بهجت

الحولية الثامنة لعام ١٩٨٧ :

- ٤١ - البيئة المائية في الأردن (باللغة الانجليزية) د. عبد الرحيم مسعد

- ٤٢ - وثائق جديدة عن حملة سنان باشا إلى اليمن (سنة ٩٧٦هـ / ٦٨ - د. محمد عيسى صالحة ١٥٦٩م)
- ٤٣ - التوجيه والإرشاد النفسي للأطفال غير العاديين (دراسة تحليلية) د. محمد ماهر محمود
- ٤٤ - المراحل الارتقائية لمنهجية الفكر العربي الإسلامي د. حسن عبد الحميد عبد الرحمن
- ٤٥ - عبدالله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة د. عبدالعزيز الهلابي
- ٤٦ - ضآائر الغيبة أصولها وتطورها د. فوزي حسن الشايب
- ٤٧ - قبيلة إباد منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي د. محمد احسان النص
- ٤٨ - تاريخ العلاقات التجارية بين الهند ومنطقة الخليج العربي في العصر الحديث د. عبد الملك خلف التميمي
- الحولية التاسعة لعام ١٩٨٨ :
- ٤٩ - أعضاء على ملكة سبأ د. محمد ابراهيم مرسي
- ٥٠ - دراسة سوسولوجية حول ظاهرة الشيخوخة ودور الخدمة الاجتماعية د. جلال الدين الغزاوي
- ٥١ - هجرة الكفاءات العلمية العربية ودور مجلس التعاون في الافادة منها د. محمد رشيد الفيل
- ٥٢ - الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند د. سعد محمد حذيفة الغامدي
- ٥٣ - الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط د. وسام عبدالعزيز فرج
- ٥٤ - مدن التنمية في فلسطين المحتلة د. محمد مدحت عبد الجليل
- ٥٥ - الغزو الفرنسي للجزائر في وثيقة أمريكية معاصرة د. منصور أبو خمسين
- ٥٦ - رحلات جلفر الرحلة إلى ليليوت د. محمد رجا الدريني
- الحولية العاشرة لعام ١٩٨٩ :
- ٥٧ - التغير الاجتماعي في المدن المنتجة للنفط (مجتمع الكويت) د. نورة الفلاح
- ٥٨ - حركة مسيلمة الحنفي د. إحسان صدقي العماد
- ٥٩ - الجاحظ والنقد الأدبي د. ودیعة طه النجم
- ٦٠ - التقليد والتحديث في تعليم اللغات الأجنبية د. نايف غمر خرما
- ٦١ - الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ - ٤٦٧هـ / ١٠٣١ - د. محمود عرفة محمود ١٠٧٥م)
- ٦٢ - تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي د. فوزي حسن الشايب
- ٦٣ - نجاح الشيخ أحمد الجابري في الإفادة من التنافس الإنجليزي الأمريكي بشأن نفط الكويت د. ميمونة خليفة العذبي الصباح
- ٦٤ - المدخل السلوكي لدراسة اللغة في ضوء الدراسات والانجهاات الحديثة (في علم اللغة) د. مصطفى زكي التوني

- ٦٥ - جغرافية الحضرة
الحولية الحادية عشرة لعام ١٩٩٠ :
٦٦ - النظرية الاستبدالية للاستعارة
٦٧ - النفط والنمو الحضري بدولة الكويت
٦٨ - نظرات في علم دلالة الألفاظ عند أحمد بن فارس اللغوي
٦٩ - الانقطاع في العالم الإسلامي
٧٠ - الجوار في الشعر العربي حتى العصر الأموي
٧١ - الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية (٤٠ - ٣٣٩هـ /
٦٦٠ - ٩٥٠م)
٧٢ - خبرات الكويت: توزيعها، نشأتها، تصنيفها
الحولية الثانية عشرة لعام ١٩٩١ :
٧٣ - بنو سليمان: حكام المخلاف السليماني وعلاقاتهم بجيرانهم
٧٤ - نهاية الأرب في شرح لأمية العرب للشنفرى بن مالك الأزدي
٧٥ - افلاطون . . والمرأة
٧٦ - الخبز في الحضارة العربية الإسلامية
٧٧ - الاتجاه نحو الدين
٧٨ - دوار الشعب لم يعد موجوداً
٧٩ - الأنثروبولوجيا السياسية
٨٠ - سدوس وتحصيناتها الدفاعية
٨١ - إلغاء الصفة القانونية للرق في سلطنة زنجبار العربية
٨٢ - مشكلة الحدود الكويتية بين الدولتين العثمانية والبريطانية
٨٣ - جغرافية الحضرة عند المدارس الغربية
٨٤ - علل التغير اللغوي
٨٥ - رحلات جلفر
د. وليد عبدالله عبدالعزيز المنيس
د. يوسف مسلم أبو العدوس
د. أمل يوسف العذبي الصباح
د. غازي مختار طلبيات
د. محمود إسماعيل
د. مرزوق بن صنيان بن تنباك
د. عبدالرحمن محمد عبدالنبي
د. عبدالحميد أحمد كلبو
د. أحمد بن عمر الزيلعي
د. عبدالله محمد الغزالي
أ.د. إمام عبدالفتاح إمام
د. إحسان صدقي العمدة
د. نزار مهدي الطائي
د. شفيقة بستكي
د. سليمان خلف
د. محمد عبد الستار عثمان
د. بنيان سعود تركي
د. ميمونة خليفة الصباح
د. وليد عبدالله عبد العزيز المنيس
د. مصطفى زكي التوني
د. محمد رجا عبدالرحمن الدريني

عزيري القاريء

أسرة تحرير الحوليات ترحب بك وتتقدم لك بأطيب التحيات شاكرين لك سلعاً تعاونك من أجل تطوير هذه الحوليات وذلك من خلال احاطتك بـ هذه الاسئلة :-

- ١- عمر القاريء : ☐ ٢٠ - ☐ ٣٥ - ☐ ٤٥ - ☐ ٤٥ + ☐ أشي
- ٢- الجنس : ☐ ذكر ☐ أنثى
- ٣- بلد الإقامة : ☐ الكويت ☐ خارج الكويت
- ٤- التعليم : ☐ ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراة
- ٥- طبيعة المهنة : ☐ اداري ☐ أكاديمي ☐ مهني ☐ أخرى
- ٦- مواضيعك المفضلة : ☐ لغوية ☐ اجتماعية ☐ تاريخية ☐ ادبية ☐ متنوعة
- ٧- كيف تحصل على الحوليات؟
- ٨- شراء ☐ اشتراك ☐ استعارة ☐
- ٩- هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟
- ١٠- نعم ☐ لا ☐
- ١١- ما رأيك بحجم الحوليات؟
- ١٢- مناسب ☐ كبير ☐ صغير ☐
- ١٣- كيف ترى مواضيع الحوليات؟
- ١٤- متنوعة ☐ غير متنوعة ☐
- ١٥- ما هو الطابع العام للحوليات؟
- ١٦- لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐
- ١٧- هل تقرأ الحوليات بانتظام؟
- ١٨- نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐
- ١٩- هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟
- ٢٠- نعم ☐ لا ☐
- ٢١- هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟
- ٢٢- نعم ☐ لا ☐
- ٢٣- هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟
- ٢٤- نعم ☐ لا ☐ أحياناً ☐
- ٢٥- شعار الحوليات على الغلاف هل يتناسب وطبيعة الحوليات؟
- ٢٦- نعم ☐ لا ☐
- ٢٧- ما مقياسك لنوع طباعة الحوليات؟
- ٢٨- جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف ☐
- ٢٩- ما رأيك بسعر الحوليات؟
- ٣٠- مرتفع ☐ قليل ☐ مناسب ☐
- ٣١- اقتراحات ترى أنها تساعد على تطوير الحوليات وخدماتها للقاريء؟





قسم الاشتراكات

حوليات كلية الآداب

ص.ب : ١٧٣٧٠ الخالدية

الكويت 72454

البريد الجوي
BY AIR MAIL
PAR AVION

قيمة اشتراك

يرجى اعتماد اشتراكك في المجلد لمدة

☐ سنة واحدة ☐ سنتان ☐ ثلاث سنوات ☐ اربع سنوات
بعدد () نسخة

ارفق طية قيمة الاشتراك نقدا / شيك

☐ رجاء الاشعار بالاستلام و / أو ☐ ارسال الفاتورة

الاسم :

المهنة / الوظيفة :

العنوان :

التوقيع

/ / التاريخ



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن
جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. سمر خليفة (الغزالي) (الصباح)

المقر: جامعة الكويت - الشويخ

هاتف: ٤٨١٦٨٠٧

٤٨١٦٧٩٩

٤٨١٦٨٢٤

٤٨١٤٢٩٥

* مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة.

بالإضافة الى اصدارات خاصة في المناسبات.

* تعنى بشئون منطقة الخليج والجزيرة العربية السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، والعلمية.

* صدر العدد الاول في يناير ١٩٧٥.

* تقوم المجلة باصدار ما يأتي :

(أ) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية.

(ب) مجموعة من الاصدارات الخاصة والمتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية.

(ج) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية.

* عقد الندوات التي تهم المنطقة او المساهمة فيها واصدارها في كتب.

* يغطي توزيعها ما يزيد على ٣٠ دولة في جميع انحاء العالم.

* الاشتراك السنوي بالمجلة

(أ) داخل الكويت: ٢ د.ك. للأفراد - ١٢ د.ك. للمؤسسات.

(ب) الدول العربية: ٢٥٠٠ د.ك. للأفراد، ١٢٠٠ د.ك. للمؤسسات.

(ج) الدول الاجنبية: ١٥ دولاراً للأفراد - ٤٠ دولاراً للمؤسسات.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:

ص.ب: ١٧٠٧٣ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي 72451

المجلة العربية للملوم الإنسانية



● تلي رغبة الأكاديميين والمتقنين من خلال نشرها للبحوث الأصلية في شتى فروع العلوم الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب، التقارير.

● تحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية والجامعات في العالم العربي والخارج، من خلال المشاركة الفعالة للأساتذة المختصين في تلك المراكز والجامعات.

● صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١.

● تصل إلى أيدي مايزيد على عشرة آلاف قارئ.

الاشتراكات

* في الكويت: ٣ دنانير للأفراد خصم ٥٠٪ للطلاب، ١٤ ديناراً للمؤسسات.

* في البلاد العربية: ٤,٥ دينار كويتي للأفراد، ١٦ ديناراً للمؤسسات.

* في الدول الأجنبية: ٢٠ دولاراً للأفراد، ٦٠ دولاراً للمؤسسات.

فضلية : محكمة

تصدر عن جامعة الكويت

رئيسة التحرير

أ.د. حياة ناصر المحجبي

المقر: كلية الآداب - مبنى قسم اللغة الإنجليزية
الشويخ - هاتف: ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣
فاكس: ٤٨١٣٥١٤

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير:

ص.ب. ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي ١٣١٢٦ الكويت



المجلة التربوية

تمتد من كلية التربية - جامعة الكويت
مجلة علمية ، تخصصية ، محكمة

رئيس هيئة التحرير

د. عبد المحسن حمادة

تنشر البحوث التربوية، ومراجعات الكتب التربوية الحديثة
ومحاضر الحوار التربوي، والتقارير عن المؤتمرات التربوية

* تقبل البحوث باللغتين العربية والانجليزية

* تنشر لأساتذة التربية والمختصين فيها من مختلف الأقطار العربية
والدول الأجنبية .

الاشتراكات :

١ د.ك	للطلاب	٢ د.ك	لأفراد في الكويت
١,٥ د.ك	للطلاب	٢,٥ د.ك	لأفراد في الوطن العربي
		١٥ دولاراً أمريكياً بالبريد الجوي	لأفراد في الدول الأخرى
		١٢ د.ك وفي الخارج ٤٠ دولاراً أمريكياً	للهيئات والمؤسسات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :

المجلة التربوية - ص.ب ١٣٢٨١ كيفان - الرمز البريدي 71953 الكويت .

هاتف : ٤٨٣٠٢٦٨

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

مجلة فصلية أكاديمية تعنى بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير:
د. فهد ثاقب الثاقب

منبر بارز للأكاديميين العرب
تأسس عام 1973

نسب العدد
الكويت (1000) فلس، السعودية (100) ريال، قطر (100) ريال، الإمارات (100) درهم، البحرين (100) دينار، عُمان (100) ريال، العراق (100) دينار، الأردن (700) فلس، تونس (100) دينار، الجزائر (100) دينار، اليمن الجنوبي (100) فلس، ليبيا (20) دينار، مصر (100) جنيه، السودان (100) جنيه، سوريا (200) ليرة، اليمن الشمالي (100) ريال، المغرب (100) درهم

للإشتراك	سنة	ستة	ثلاث سنوات	أربع سنوات
الكويت	2 د.ك	4 د.ك	5.5 د.ك	7 د.ك
الدول العربية	2.5 د.ك	4.5 د.ك	6.5 د.ك	8 د.ك
الدول الأخرى	15 دولار	30 دولار	40 دولار	50 دولار
للطلقات				
الكويت والدول العربية	15 د.ك	25 د.ك	40 د.ك	50 د.ك
في الخارج	80 دولار	110 دولار	150 دولار	180 دولار

• نفع الاشتراكات الآراء طبعاً

- (1) لما يشكك الأمر المحلة مسجلاً على لحد المصارف الكويتية.
- (2) لو تنجزل مصري لحساب مجلة العلوم الاجتماعية رقم (07101000) لدى بنك الخليج / فرع القاهرة.

توجه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب: 5486 صفاة
الكويت. هاتف: 2549421 / 2549387 - تليكس: 22616 الكويت

مجلة الحقوق

مجلة فصلية أكاديمية محكمة تعنى بنشر الأبحاث
والدراسات القانونية والشرعية
تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور مبارك عبدالعزيز النويبت

صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٧

الإشتراكات

في الكويت : ديناران للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول العربية : ثلاثة دنانير للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات
في الدول الأجنبية : ثلاثة دنانير ونصف للأفراد ، وعشرون دينارا للمؤسسات

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان التالي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت

ص.ب : ٥٤٧٦ الصفاة 13055 الكويت

تلفون : ٤٨٤٦٨٤٣ / ٤٢٢٢ - فاكس : ٤٨٣٥٧٨٩



المجلة العربية للعلوم الادارية

تصدر عن مجلس النشر العلمى - جامعة الكويت

رئيس التحرير سالم مرزوق الطحيح جامعة الكويت دولة الكويت

هيئة تحرير المجلة

احمد عبد الفتاح عبد الحليم	جامعة الامارات العربية المتحدة دولة الامارات العربية المتحدة
احمد عبد الله الصباب	جامعة الملك عبد العزيز المملكة العربية السعودية
شوقي حسين عبد الله	جامعة القاهرة جمهورية مصر العربية
صادق محمد البسام	جامعة الكويت دولة الكويت

* تقبل المجلة الأبحاث الاصيله والمبتكرة في نطاق العلوم الادارية الأساسية والمجالات الأخرى ذات الصلة وذلك بما يعود بالنفع على الباحثين والممارسين في مجال الادارة ، التمويل والاستثمار ، التسويق ، نظم المعلومات الادارية ، الاساليب الكمية في الادارة ، الادارة الصناعية ، الادارة العامة ، المحاسبة ، الاقتصاد الادارى ، وغيرها من المجالات المرتبطة بتطوير المعرفة والممارسات الادارية.

* تخضع كافة الأبحاث المنشورة للتحكيم من قبل هيئة تحرير المجلة وإثنين أو اكثر من المتخصصين من ذوى الخبرة البحثية والمكانة العلمية المتميزة. وفي جميع الأحوال يتم التحكيم بشكل سري ، الأمر الذى يتطلب من الباحثين عدم إظهار ما يشير الى هويتهم فى صلب البحث.

* تشمل المجلة الأبواب التالية:

- . الأبحاث .
- . التقارير العلمية التقييمية .
- . ملخصات الرسائل الجامعية .
- . الندوات والمؤتمرات .
- . الحالات العملية .

توجه المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالى:

المجلة العربية للعلوم الادارية - جامعة الكويت ص.ب ٢٨٥٥٨ الصفاة

هاتف / فاكس : ٢٥٢٨١٢١ [٩٦٥]

Discipline of Hospitality in Ancient Arab Poetry

Abstract

In this paper an attempt is made to study the views of the Arabs, which has acquired hospitality a permanent tradition and has become a part of their heritage. The study is based on the traditional facts and narrations mentioned in the Arabic poetry. The Arabs always welcome and entertain guests to their best with food, drink and shelter.

The paper also discusses the literary language of the poets. Their hardship which they faced while travelling in a hot desert until they could find a suitable generous host. Under these circumstances, relieved and satisfied the poets have narrated praise in favour of the host and have left a record of Arabs traditions and cultural heritage.

The study further analyses the verses which reveal the development of this tradition and the factors that contributed to its growth.

The Author:

- Marzouq Ben Sneitan ben Tunbak (Ph.D)
- Co-Professor, Arabic Department - Faculty of Arts, King Saud University, S.A.

Scientific Publication

Books

1. Al-Fusha Wa Nazariyet al Fikr al al-°Ammī Farzdaq Press 1407.
2. Al-Ghāyur Wal-Saboar Dar°iya Press 1411 A.H.
3. Al-Jiwar °ind-Al-Arab Dar-al Ma°arif Cairo 1412 A.H.
4. Rasail ila-Watan Dar-al-Ma°rif - Cairo 1412 A.H.

Researches Published in Referred Journals and Pance of Publication:

1. Al-Adab al-°Ammī Wa Mahawir el ihtimam bihi. al-Dara Journal 1407.
2. Al-Tasamuh Fi al-Ghira Fi-al-Shir Miskin al Dan-mi. Al-Dara Journal 1407.
3. °Agil ibn °Ullufah Hayatoho Wa Shi°ruh al-Imam University.
4. Al-Jarah Fi-al Shir al-°Arabi K.S. University Journal 1411 A.H.

Research Accepted For Publication:

1. Al-Motanabbi wa la-Nuggad wal-Tewheed, Faculty of Humanities Journal (Qatar) 2.
2. Al-Sir Kama Sawwaraho al Shi°r. Imam Mohammed ibn Saud Islamic University Journal.
3. Hogog al-asdiga' fi Nazar al-Sho°ara, Faculty of Arts, Journal University of Cairo.
4. Al-Zajer Fi Wegdam al-Sho°ara, Faculty of Arts, Journal of Ain Shams University.
5. Al-intima' Fi al-Shi°r al-°Arabi. Faculty of Arts, Journal of Alexandria University.

Eighty-Sixth Monograph

Discipline of Hospitality in Ancient Arab Poetry

Dr. Marzouk Ben Senitan Ben Tunbak (Ph.D)
Faculty of Arts, King Saud University

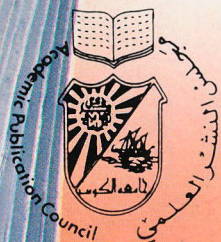
Annals of the Faculty of Arts
Volume XIII, 1993

ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED SCIENTIFIC PERIODICAL THAT PUBLISHES
MONOGRAPHS ON TOPICS RELEVANT TO THE SCIENTIFIC
CONCERNS OF THE VARIOUS DEPARTMENTS IN THE
FACULTY OF ARTS.

Volume XIII, 1993



ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

Discipline of Hospitality in Ancient Arab Poetry

Dr. Marzouk Ben Senitan Ben Tunbak (Ph.D)
Faculty of Arts, King Saud University

Volume XIII
Eighty-Sixth Monograph

1412 – 1413
1992 – 1993